أثر المنهج الاستشراقي
على كتابات المؤرخين المُحْدَثين كتاب
(تاريخ الإسلام السياسي والديني
والثقافي والاجتماعي)
لـ حسن إبراهيم حسن "أنموذجاً"

إعداد

الدكتور/ محمود عبد الفتاح أبوطه

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

أثر المنهج الاستشراقي على كتابات المؤرخين المُحْدَثين كتاب (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) لـ حسن إبراهيم حسن " أنموذجًا "

محمود عبد الفتاح أبوطه

تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني : mahmoudaboutaah@azhar.edu.eg

المستخلص:

البحث بعنون: أثر المنهج الاستشراقي على كتابات المؤرخين المُحْدَثين كتاب (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) لـ حسن إبراهيم حسن " أنموذجًا ".

تَعرض مقدمة البحث الاعتبارات والغايات التي دفعت الباحث للكتابة حول هذا الموضوع، مع بيان إشكالية البحث، وخطّته التي رُسم عليها.

أما التمهيد فتناول التعريف بالدكتور حسن إبراهيم حسن، وكتابه محور الدراسة، ونبذة عن المنهج الاستشراقي في الكتابات التاريخية. ثم أردفت ذلك بالمناهج المختارة موضوع الدراسة وهي:

أولًا:- منهج التأثير والتأثر.

ثانيًا:- منهج الإسقاط.

ثالثًا:- منهج التعسف في التفسير والتعامي عن الدليل القاطع.

وتلى ذلك خاتمة بها أبرز النتائج، ثم ثبتًا للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: المنهج الاستشراقي – التأثير والتأثر – الإسقاط – التعسف في التفسير – التعامي عن الدليل.

The impact of the orientalist Methodology on the writings of modern historians, *A Book "Tarikh Al-Islam Al-Siyasi, Al-Dini, Al-Thaqafi, Al-Ijtima'i" "History of Islam, Political, Religious, Cultural and Social"* as a model

Mahmoud Abd El, Fattah Abu,

specializes in Islamic history and civilization, Department of History and Civilization, Faculty of Arabic in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: mahmoudaboutaah@azhar.edu.eg

Abstract:

Research Title: The impact of the orientalist Methodology on the writings of modern historians, *A Book "Tarikh Al-Islam Al-Siyasi, Al-Dini, Al-Thaqafi, Al-Ijtima'i" "**History of Islam, Political, Religious, Cultural and Social**"* as a model.

The introduction presents the considerations and goals that prompted the researcher to write about this topic, It also clarifies statement of the research problem and its adopted proposal.

A preface presents a biography of Dr. Hassan Ibrahim Hassan, and gives a brief overview for both his book, which is the focus of the study and the orientalist Methodology in historical writings. This was followed by the Methodologies that were chosen in this research. These include:

First: Impact and Influence Methodology.

Second: Projection Methodology.

Third: The arbitrariness Methodology in interpretation and ignoring conclusive Evidence.

This was followed by a conclusion with the most prominent results, and then proven sources and references.

Keywords: Orientalist Methodology – Impact and Influence – Projection – Ignoring Evidence

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام أشرف المرسلين سيدنا محمدﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛

فمما لا شك فيه أن جُلَّ المستشرقين ومن تأثر بمنهجهم وسار على دربهم من المؤرخين المُحدثين لم يَقدِروا على درس، وفحص التاريخ الإسلامي وحضارته؛ دون أن يُحددوا موقفهم من مصادره؛ معتمدين في ذلك على مناهج ومعايير تختلف كليّة عمّا استعان به مؤرخونا القدماء في تدوين وتسجيل ورصد حوادث أيامهم. هذا المنهج الاستشراقي الذي هيمن على تاريخ الحركة الاستشراقية أطلق العنان للمستشرقين للخوض في المسائل والحوادث التاريخية مع فقر الطُرق والحُجج اللازمة، ومع ذلك سايروا هذا النهج فأنتج عنه صورة في غاية التشويه والإساءة للإسلام وحضارته، المحفوظة بعز الله وتأييده، فهؤلاء وأتباعهم:

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوَعِلُ[1]

وبطبيعة الحال لا يمكن الإلمام بجميع المناهج الاستشراقية ضمن طيّات هذا البحث، الأمر الذي حدا بالباحث انتقاء أبرز المناهج التي تأثر

(١) الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، ت٥٠٢هـ/١١٠٨م، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ، ج١/ص٣١١.

بها المؤرخون المُحدثون ضمن بؤرة هذا البحث، الموسوم بـ " أثـر المـنهـج الاسـتشـراقي على كتابات المؤرخـين المُحْـدَثين كتاب (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) لـ حسن إبراهيم حسن "أنموذجًا"، وقد دفعني لمعالجة هذا الموضوع اعتبارات، وغايات متعددة منها: تصويب الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون في شخص الدكتور "حسن إبراهيم حسن" الذي عالج موضوعات التاريخ الإسلامي وحضارته متأثرًا بالمنهج الاستشراقي، فساء بذلك تقديمها لقرائه، ومشوّهًا صورتها عن قصد مبيت حينًا، وعن غير قصد تارة أخرى، الأمر الذي دفعني لرصد هذا الأثر ومناقشته، والرد عليه بمقتضى الموضوعية، وروح البحث العلمي، ومن بين تلك الغايات التي يرنو إليها هذا الموضوع؛ توجيه الباحثين والمتخصصين في حقل الدراسات التاريخية – ممن انساقوا وراء تلك المناهج وأعجبوا بها – إلى طبيعة وأسس هذا المنهج الاستشراقي، وخطر ما يتمخض عنه من نتائج تصل لحد تشويه الحقيقة التاريخية، وتزييفها.

إن المطالع لهذا البحث سوف يلاحظ أن الإشكالية التي يدور عليها البحث، ويسعى للإجابة عليها هي: مدى تأثر الدكتور "حسن إبراهيم" بآراء وتفسيرات ومناهج المستشرقين؟، وإلى أي حد سار على دربهم وسلك نهجهم؟. هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن تُرسم خطَّته على النحو الآتي:-

مقدمة: تَعرِض الاعتبارات والغايات التي دفعتني للكتابة حول هذا الموضوع، وبيان إشكالية البحث، وخطّته.

تمهيد: تناولت فيه التعريف بالدكتور حسن إبراهيم حسن، وكتابه محور الدراسة، ونبذة عن المنهج الاستشراقي في الكتابات التاريخية. ثم

أردفت ذلك بالمناهج المختارة موضوع الدراسة وهي:

أولًا:- منهج التأثير والتأثر.

ثانيًا:- منهج الإسقاط.

ثالثًا:- منهج التعسف في التفسير والتعامي عن الدليل القاطع.

ويعقب ذلك خاتمة بها أبرز النتائج التي توصلت إليها خلال البحث، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

وهذا عمل جهدت فيه غاية الجهد، وأردت أن يكون خاليا من النقص، والعيب، ولكني بشر أصيب وأخطئ، فأسأل الله السلامة من الزلل، والخطأ، فإن وفقت فمن الله التوفيق، والعون، وإن قصرت فمن نفسي، راجيًا من الله تعالى أن يقيل العثرات، وأن يلتمس لي القارئ العذر، والحمد لله أولًا وآخرًا.

التمهيد

التعريف بالدكتور حسن إبراهيم حسن

الدكتور حسن إبراهيم من مواليد مدينة طنطا عام (١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، درس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية (القاهرة حاليًا) في كلية الآداب، وتخرج فيها بتقدير ممتاز ، وحصل على درجة التخصص الماجستير في موضوع عن تاريخ عمرو بن العاص ﷺ، واختارته الجامعة لاستكمال دراسته العليا في جامعة لندن، وكان من أبرز أساتذته بلندن المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد (Thomas Arnold)[١] الذي مدَّ له يد العون حتى تمكَّن من إنجاز أطروحته للدكتوراه الموسومة بـ "الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص"، ولم ينس الدكتور حسن، فضل أستاذه عليه فراح يرثيه حين علم بموته المفاجئ في شهر يونيه ١٩٣٠م، قائلًا: "إني لمدين بالشكر الجزيل لأستاذي الجليل توماس أرنولد فقد حظيت بالانتماء إليه، والسير وراء إرشاداته العملية أثناء وجودي بإنجلترا, وكان عمدة المستشرقين الإنجليز في التاريخ الإسلامي"[٢]، وللدكتور "حسن" عند

---

(١) من مواليد عام ١٨٤٦م، تعلم في كمبريدج، وقضى عدة سنوات في الهند أستاذًا في جامعة عليكرة (١٨٨٨-١٨٩٨م)، يعد توماس أرنولد أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن عام (١٩٠٤م)، ثم اختير عميدًا لها أعوام (١٩٢١-١٩٣٠م)، وفي أوائل عام (١٩٣٠م) زار مصر، وحاضر بالجامعة المصرية عن التاريخ الإسلامي؛ نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤/١٩٦٥م، ج٢/ص٥٠٤.

(٢) الزركلي: خير الدين بن محمود، ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، ==

أستاذه "أرنولد" مكانة رفيعة، ظهرت خلال ثنائه على أطروحته؛ حيث قال عنها: "لقد أكسبته إطراء الممتحنين المعيَّنين من قبل الجامعة الذين عدّوها مجهودًا نادر النظير، وعن كتابه "الفاطميون في مصر" أوضح أنه لا يكاد يخلو أي باب من أبواب الكتاب من إضافة مباحث علمية طريفة، تضيء الطريق للباحثين في آثار الدولة الفاطمية، مؤكدًا أن الكتاب يُعد أعظم وثيقة ظهرت في هذا الموضوع حتى الآن (أي وقت كتابة تلك الكلمات والمُؤرخ بتاريخ ١٤/٣/١٩٢٨م)، وتتجلى فيه قدرة المؤلف العلمية، ومنزلته الأدبية، كما تظهر أحكامه السديدة بأجلى بيان"[١].

ويذكر الزركلي[٢] أن الدكتور "حسن" اختير عميدًا لكلية الآداب بالجامعة المصرية، ثم مديرًا لجامعة أسيوط، وعُين للتدريس في جامعة الرباط (بالمغرب)، وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور حسن أوضح أنه انتُدب لتدريس التاريخ الإسلامي بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية[٣]. وله العديد من المؤلفات منها: (تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد

==

ط١٥/٢٠٠٢م، ج٢/ص١٧٨، ١٧٩؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م، المقدمة (د)؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥.

(١) تصدير كتاب "الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص).

(٢) الأعلام، ج٢/ص١٧٩.

(٣) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة وتعليق: د. حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١/١٩٣٤م، المقدمة (أ).

العـرب)[١]، و (انتشـار الإسـلام فـي القـارة الإفريقيـة)[٢]، و (عُبيـد الله المهدي)[٣]، و (تاريخ عمرو بن العاص)[٤]، وتوفي الدكتور حسن إبراهيم أثناء انتدابه في جامعة بغداد عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ودفن بالقاهرة[٥]. وربمـا كـان مـن المفيـد قبـل توضـيح رؤيـة المـنهج الاستشـراقي للإسـلام وحضـارته، التنويـه علـى أن السـنوات الخمـس التـي قضـاها الـدكتور حسـن إبراهيم فـي جامعة لنـدن تلميـذًا لأكبـر المستشرقين الإنجليـز السير تومـاس أرنولـد[٦]، كانـت كفيلـة إلـى أن يكـون فـي طليعـة المؤرخين المصـريين الـذي انخرطوا في دراسة الفكر الاستشراقي، وتشربوا منهجه، وتبنوا آرائه، وسعوا إلى نشر مؤلفاته، ونقلها للعربية[٧].

وتَتمّـة لهـذا أقـول: إن تـأثر البـاحثين والمـؤرخين المُحـدثين بمنـاهج

---

(١) طُبع بمكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٢) نشرته مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٣م.

(٣) تـأليف مشـترك مـع طـه أحمـد شـرف، طبعـه مكتبـة النهضـة المصـرية، القـاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

(٤) طُبع بدار السعادة، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج٢/ص١٧٩.

(٦) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٥.

(٧) ففي عام ١٩٣٠م وأثناء زيارة أستاذه "أرنولد" لمصر استأذنه في ترجمة كتابه الدعوة إلـى الإسـلام للعربيـة، يضـاف إلـى هذا أنـه كـان حريصًـا علـى ترجمـة كتـاب "فـان فلوتن" السيادة العربية، والذي طالما كان أستاذه "أرنولد" يشير إليه حين كان طالبًا فـي الجامعـة اللندنيـة؛ تومـاس أرنولـد: الـدعوة إلـى الإسـلام، ص٥؛ فـان فلـوتن: السيادة العربية، المقدمة (أ).

أساتذتهم من المستشرقين، والفكر الاستشراقي عامة؛ يرجع إلى أن طابع التفكير الغربي كان هو السمة الغالبة على حركة التجديد في مصر مع مطلع القرن العشرين، والتي تولت زعامتها الجامعة المصرية، وباشرتها كلية الآداب، والتي أُريد لها أن تبرز هذا التفكير المادي، والذي يقوم في جملته على تمجيد القوة المادية، والمظاهر الحضارية الآلية، والتفسير الاقتصادي للتاريخ البشري، مع التقليل من شأن الروح الدينية، والمثالية الإنسانية، والعجيب أن هذا التجديد انزلق في مصر بشعور، أو دون شعور إلى ذات هدف التفكير الغربي من تمجيد للقوة المادية، وتقليل شأن غيرها، كما تسلل لتلك الحركة المجددة في مصر؛ طريقة الاستقراء والاستنتاج للوقائع والحوادث التاريخية التي اتبعها المستشرقون في عرضهم للإسلام وحضارته؛ عرضًا مغرضًا أمام الجموع الهائلة في الغرب، بحيث ظهر أن حركة التجديد في الفكر الإسلامي؛ إما أنها تسير في طريق الاستشراق، أو في طريق التفكير الغربي عامة[1]، بيد أنه يضاف إلى ذلك؛ الأثر الواضح للجامعات الغربية على الطلاب المبعوثين، والذين وقعوا – في بعض الأحيان – فريسة سهلة لمناهج تلك الجامعات ووسائلها، ومضامينها في كل العلوم بما فيها المعارف الإنسانية، والعلوم الدينية، والعربية في صورة تدعو للدهشة والاستغرابّ!!، وفي حقيقة الأمر أدرك المستشرقون أهمية هذا الأمر ومدى فاعليته؛ حين أوضحوا أن الجامعات الغربية تستطيع تحقيق ما فشل فيه التبشير، وأعوانه؛ من تخريب وتشويه العقيدة الإسلامية، فالمنح الدراسية

(١) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٨٦-١٩٠.

التي تمنح لطلاب الجامعات الإسلامية، والعربية تستطيع خلق جيل يحقق أهداف ومآرب الاستشراق والمبشرين على حد سواء(١).

كتاب تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:

هو الأكثر انتشارًا والأذيع صيتًا في آثار الدكتور "حسن إبراهيم"، بل لعله أبرزها على الإطلاق، والكتاب مكوّن من أربعة أجزاء، صدر الجزء الأول في عام (١٩٣٥م)، وتبعه بقية الأجزاء، وقد عُنِي فيه الدكتور "حسن إبراهيم" بتناول الجوانب السياسية، والدينية، والثقافية، وكذا الاجتماعية للدولة الإسلامية (شرقًا وغربًا) منذ البعثة النبوية، مرورًا بالحِقب الإسلامية المتعاقبة، وقد مهَّد لهذا بباب عن العرب قبل الإسلام، والكتاب منذ صدوره – وحتى اليوم – قبلة للدارسين في التاريخ، ومحبي الثقافة والمعرفة، وقد طُبع منه عشرات الطبعات إلى اليوم، وقد اعتمدت في هذا البحث على طبعة أصدرتها مؤسسة روز اليوسف مؤرخة بعام (٢٠٠٣م).

نبذة عن المنهج الاستشراقي في الكتابات التاريخية:

رمى الاستشراق من وراء دراساته حول الإسلام – كما هو معلوم – إلى غايتين:-

أولهما:- حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام؛ فيؤمن به، ويحمل رايته، وكانت هذه غاية الاستشراق منذ نشأته محاولة لتشنيع صورة الإسلام، وأهله.

---

(١) عبد الرحمن حسن جنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط٤/١٤٠٣هـ، ص١٤٨-١٥٠.

الأخرى:- معرفة الشرق، ودراسته، وأرضه، ومياهه، وجباله، وأنهاره، ورجاله، وعلمائه، ودينه، وعقائده، وعاداته، وتقاليده، وآدابه ...، كل هذا ليعرف كيف يصل إليه[1].

وثمَّة أسباب عدّة أدت بالمستشرقين إلى استخدام مناهج لا تؤدي بأي حال من الأحوال إلى نتائج علمية موثقة بها، منها: النظرة المادية لجميع الظواهر الفكرية التي يدرسونها، والتي تدفعهم إلى سلوك مناهج تؤدي إلى نتائج لا تتفق عادة، وما هو معلوم لدينا بالضرورة، وما يجب الإيمان به والتسليم بصدقه، ومنها: عدم تخصص العديد من المستشرقين في بداية أمرهم في فرع معين من فروع الحضارة الإسلامية، بحيث يتناولونها في إطار التاريخ العام، وتاريخ علم من العلوم، أو إطار الحضارات القديمة؛ فتأتي النتيجة العلمية – إذا جاز التعبير – لا توافق ما نراه صحيحًا، حالة كون هذه الدراسات قد اختلطت ببعضها، وأُطلق عليها أحكام عامة لم تراع فيها خصائص الحضارة الإسلامية، وأفكارها، ومعتقداتها، وإلى جانب هذا أثر البيئة الأوروبية التي تربى فيها المستشرقون، وأخذوا منها مناهجها، وطرق معالجتها، للحضارات والأفكار الإنسانية[2]. ومع دراسة المناهج الاستشراقية التي استعان بها المستشرقون في دراسة التاريخ الإسلامي

---

(١) عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة (كتاب الأمة)، ربيع أول ١٤١١هـ/نوفمبر ١٩٩٠م، قطر، ط١، ص٣٨، ٣٩.

(٢) ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١/٢٠٠٢م، ج١/ص١٦٤، ١٦٥.

وحضارته، نجد أن هذه المناهج لا تكاد تخرج عن منهج التأثير والتأثر، ومنهج الإسقاط، ومنهج التعسف في التفسير والتعامي عن الدليل القاطع، ومنهج الاختلاق والتمويه، ومنهج التحريف والتزييف، ومنهج الخضوع للأهواء وعدم التجرد، ومنهج العكس، والمنهج المادي والعلماني، وقد اقتصرت في هذا البحث على الحديث عن الثلاثة الأُول تاركًا البقية لدراسات وبحوث في قابل الأيام.

منهج التأثير والتأثر هو الادعاء بتأثر الإسلام وحضارته بالديانات، والحضارات السابقة، سعيًا لإفراغ الإسلام من إبداعه، وذاتيته؛ بحيث تحيلها إلى مصادر خارجية(١).

بينما يتمثل المنهج الإسقاطي في خضوع المستشرق إلى هواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته المعينة، وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يُكوِّنها على موضوع بحثه سواء أكانت هذه الأحكام عقلية، أم انفعالية(٢)، وبمعنى آخر هو إسقاط الواقع على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسِّرها المستشرقون في ضوء خبراتهم، ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم، ومجتمعاتهم(٣).

---

(١) عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء "وات- بروكلمان- فلهاوزن" مقارنة بالرؤية الإسلامية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمَّان، الأردن، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٩.

(٢) رياض بن حمد بن عبد الله العمري: مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي ﷺ "عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية"، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١/١٤٣٦هـ،٢٠١٥م، ص٥١٢.

(٣) عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ==

أما التعسف في التفسير والتعامي عن الدليل القاطع فَيُقصد به عدم فهم الحوادث، والوقائع التاريخية، أو النص فهمًا صحيحًا بصورة متعمدة، فيميل مع هواه فيستنطِق النص بما يتفق وهدفه، ويُشبع هواه، مع التجاهل، أو التعامي عن الدليل القائم، والتشكيك فيه، حتى لو كان صحيحًا بيَن الصحة[١].

المناهج المختارة للدراسة

أولًا:- التأثير والتأثر

*** أكد الدكتور حسن إبراهيم حسن[٢] في أثناء حديثه عن عمل النبي ﷺ - في شبابه - بالتجارة على اتساع معرفة النبي ﷺ وتجاربه بما شاهده من أحوال بلاد الشام، وطرق التعامل وأخلاق الناس، ومظاهر الحياة في البيئة الرومانية، إلى جانب وقوفه على أساليب الناس في البيع والشراء، الأمر الذي كان له أعظم الأثر في التشريعات بعد الرسالة!!.

وليس بخفي أن هذا تقرير يشير من طرف خفي إلى أن تشريعاته ﷺ جُلها، أو بعضها مستوحاة من قوانين وتشريعات الدولة الرومانية، وبذلك يجاري نهج كبار المستشرقين وأفكارهم؛ فالمستشرق اليهودي Ignaz Goldziher "إيجناس جولد تسيهر ١٨٥٠-١٩٢١م"[٣] يقول:" ويبيّن ذلك إذا

==

ص٩٩، ١٠٠.

(١) عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص٧٨، ١٠٩.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١/ص٧٢.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي)، ==

عرفنا أن نمو الإسلام مصطبغ نوعًا ما بالأفكار والآراء الهلينستية، ونظامه الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني ...، على أن من الحق أن نقرر أن الإسلام ... قد أكد استعداده وقدرته على امتصاص هذه الآراء وتمثّلها، كما أكد قدرته كذلك على صهر تلك العناصر الأجنبية كلها في بوتقة واحدة ...". وهذا ما زعمه – أيضًا – المستشرق "جوزيف شاخت" من أنه ﷺ استقى التشريعات الإسلامية من ديانات سابقة، وأنظمة وضعية، فالشريعة الإسلامية – من وجهة نظره – منتحلة من القانون الروماني وقوانين الكنائس الشرقية(١).

والعجيب أن الدكتور "حسن إبراهيم" لم يعط برهانًا واحدًا على دعواه هذه!!، مكتفيًا بغرسه في أذهان قُرائه، وتلاميذه دون إقامة أي بينة على دعواه تلك، وفي الحقيقة أن هناك عديدًا من الشواهد والأدلة التي لا تقتصر على إثبات بطلان هذا الزعم فحسب، بل تدل – أيضًا– على أن هدفه من اعتماد هذا المنهج كما بدا واضحًا؛ هو التلبيس على القارئ، وقد دفعني هذا لأتساءل – على فرضية ثبوت الأثر – لماذا اقتصر هذا الأمر على الرسول ﷺ دون غيره من عرب قريش و الحجاز؟!، علمًا بأن تأثير الحضارة الرومانية على العرب كأمة كان ضئيلًا للغاية؛ وخير برهان على ذلك انتشار الأمية، والبون الشاسع بين العرب والروم في النواحي العقلية

==

ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤م، ص١١.

(١) رياض بن حمد بن عبد الله العمري: مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي ﷺ "عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية"، ص٦٢٣.

والاجتماعية[١]. ولنضف إلى هذا؛ الروايات التي تبين أن النبي ﷺ خرج في رحلتين قصيرتين إلى الشام إحداها: مع عمه أبي طالب وهو غلام يافع، والأخرى: في تجارة لخديجة – رضي الله عنها– وعمره وقتئذ خمسة وعشرون عامًا[٢]، وكلتا الرحلتين كانتا لمواطن عرب الشام، وتحديدًا للمناطق الخاضعة لمملكة الغساسنة والتي عُرفت إداريًا لدى الدولة الرومانية بالكورة العربية[٣]، فأي بيئة رومانية إذًا؟!!!!، فضلًا عن ذلك فإن التشريع في عهده ﷺ كان قائمًا على الوحي الإلهي، سواء أكان الحكم من عند الله بألفاظه ومعانيه كما في القرآن الكريم، أم كان صادرًا عن الرسول ﷺ وأقرّه الله عليه[٤].

*** ومع عرضه لأثر الفتح الإسلامي في بلاد فارس بيّن الدكتور "حسن إبراهيم" أن الفرس "وجدوا السبيل سهلًا ميسورًا لاعتناقهم الإسلام؛ لما بين مذهبهم الجديد، ومذهبهم القديم من أوجه الشبه الكثيرة، فالفارسي

(١) صوفي حسن أبوطالب: بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، دراسة وتقديم د. محمد عمارة، مجلة الأزهر، ذي القعدة ١٤٣٤هـ/سبتمبر، أكتوبر ٢٠١٣م، ص٥٤، ٥٥.

(٢) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت٢١٣هـ/٨٢٨م، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١١هـ، ج١/ص٣١٩-٣٢٢، ج٢/ص٦، ٧.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤/١٤٢٢هـ/٢٠٠٤م، ج٣/ص٦٥، ٢٤٧، ج٤/ص٢٧٣، ج١٣/ص٢٩٢، ج١٤/ص١٨١.

(٤) صوفي حسن أبوطالب: بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، ص٦١.

يستطيع أن يجد في القرآن كثيرًا من التعاليم الأساسية في ديانته القديمة، وإن كان ذلك بصورة مختلفة كثيرًا"[١].

بهذا النص أقول: إن الدكتور "حسن" قدَّم بجلاء تقريرًا واضحًا عن مدى تأثر الإسلام بالديانة الفارسية (الزرادشتية)، يعزز هذا؛ أسلوب عرضه وطريقته في التناول بما يعكسان فكره، ونهجه المنطويين على تأثر واضح بمنهج وفكر المستشرقين، فلا عجب أن نلحظ أن هذا النص يعكس تواصلًا فكريًا بين المستشرق " السير توماس أرنولد" وبين الدكتور "حسن إبراهيم حسن"، ولم لا والأخير نقل نصًا وجهة نظر أستاذه "أرنولد" في تأثر الإسلام بالزرادشتية، من كتابه الموسوم بـ "الدعوة إلى الإسلام"[٢] دون أدنى تمحيص أو تدقيق!!!، كما أن الدكتور "حسن إبراهيم حسن" واحد ممن عكفوا على ترجمة هذا الكتاب للعربية بعد أن أذن له السير توماس أرنولد في ذلك[٣].

والجدير بالذكر في هذا السياق أن تبني توماس أرنولد، والدكتور حسن لهذا الزعم يرجع إلى ما سرده أرنولد من أن الفارسي يصادف اسم "أهورمزدا"،Ahurmazda ، و "أهرمان" Ahriman في ديانته القديمة اسم "الله والشيطان" في القرآن، كما يجد أن الله خالق العالم في ستة أيام، ويجد كثيرًا من أوجه الشبه في تفصيلات العبادة اليومية، فهم يؤدون وفق دينهم الجديد الصلاة خمس مرات في اليوم كما كانوا يفعلون من قبل وفق كتابهم

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١/ص١٩٢، ١٩٣.

(٢) ص٢٣٧.

(٣) راجع مقدمة المترجمين للكتاب مقدمة (ط١).

الديني القديم المسمى "أفستا" Avesta [١].

إن ما تم توضيحه آنفًا يشكل الأساس الذي بُنيت عليه أفكار، وآراء أرنولد، ومن نحى نحوه من المؤرخين المحدثين أمثال: الدكتور "حسن إبراهيم حسن"، في بيان الآثار التي تأثر فيها الإسلام بالزرادشتية الفارسية، ولا ريب أن هذه الأطروحات والأفكار لا أساس لها من الصحة ولا تستند إلى أساس علمي؛ فكتابهم القديم "أفستا" أو "الأوستا" أُلِّف بالكامل، أو – على الأقل –أعيد في زمن لاحق للساسانيين، وتحديدًا في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) إذ نجد تغييرًا واضحًا في المحتوى، بل الجزء المتبقي من "الأوستا" اليوم يعكس العقيدة الجديدة والتي وضعت على نحو ما في الإسلام من فكرة التوحيد، وخلق الدنيا وغيرها[٢]، فمن تأثر بمن؟!!، الأمر الذي يصدق فيه قول القائل: "رمتني بدائها وانسلت".

*** وبينما كان الدكتور "حسن إبراهيم حسن" يسرد التغيير الذي حدث في نظام الخلافة إبان الدولة الأموية صرح قائلًا: على أنه لا ينبغي أن لا يغرب عن أذهاننا أثر البيئة في تطور نظام البيعة، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أنه لما كانت "المدينة" حاضرة الدولة في عهد الخلافة الراشدة؛ كانت السيادة والنفوذ للعنصر العربي؛ حيث النظام الذي يتفق وطبيعة العرب، ولما أصبحت "دمشق" حاضرة للدولة الأموية؛ تأثر العرب بالبيئة التي عاشوا فيها، وغدا نظام الخلافة أشبه بالنظام الملكي، أو القيصري،

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٧.

(٢) أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص٤١، ٤٢، ١٣١، ١٣٢، ٤٢١.

وأن معاوية كان متأثرًا بالنظام السائد في الدولتين البيزنطية، والساسانية(١)، وينبغي ألا يغيب عن بال المرء أن قول الدكتور "حسن إبراهيم" ما هو إلا امتداد للمنهج الاستشراقي؛ يؤيد هذا ترداده لمفاهيم أستاذه "توماس أرنولد" Thomas W. Arnold(٢) الخاطئة عن بني أمية، فالأخير نوّه إلى أن الشاميين كانوا على جاهزية لقبول هذا النظام الذي أحدثه الأمويون؛ لأنهم اعتادوا عليه تحت حكم البيزنطيين على العكس من أهل المدينة.

إن الأهداف التي رمى إليها الدكتور "حسن" من هذا هي بلا شك – من وجهة نظري – تشويه للحقيقة التاريخية، وتعبئة لنفوس القُراء ضد بني أمية في شخص معاوية ﷺ والإيحاء بأنهم جعلوا من ولاية العهد تكأة لتحقيق مآربهم الشخصية؛ برهان هذا أنه في موضع آخر من مؤلَّفه محل الدراسة صرح قائلًا: "إن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالًا كثيرين لم يعتنقوا الإسلام إلا سعيًا وراء مصالحهم الشخصية، ولا غرو فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكًا كسرويًا، وليس أدل على ذلك من قوله: "أنا أول الملوك"(٣).

في حقيقة الأمر إن استلال الدكتور "حسن" على زعمه يعد خارج السياق التاريخي ويتجاهل عمدًا الحقائق التاريخية، ففكرة ولاية العهد لم تكن بعيدة عن الإسلام من الناحية النظرية؛ فهذا أمر قد عُرف من الشرع

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١/ص٣٧١.

(2)The Caliphate, Oxford, At The Clarendon, Press, 1924, PP.24,25,26 .

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ ص٢٤٠.

بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده، إذ وقع بعهد أبي بكر ﷺ لعمر بمحضر من الصحابة، وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر ﷺ، وكذلك عهد عمر ﷺ في الشورى إلى الستة بقية العشرة، وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين(١)، كما أن الأخبار المتصلة بولاية العهد تُفصح عن أن الأمويين كانوا شديدي الحرص على جعل ولاة العهود من العرب الخُلص؛ إذ كانوا يكرهون مبايعة ولاية العهد لابن الأمة، ولا يولون ذلك إلا ابنًا منهم (أي ابن الحرة)(٢)، كل هذا يؤكد بما لا يدع مجالا لشك في أن نظريّة الأمويين للخلافة كانت مِزاجًا من الأفكار الإسلامية، والأعراف العربية، وهذا بطبيعة الحال يرجع إلى ثقافة عصرهم، والتي تألفت في معظمها من عناصر إسلامية، وعناصر عربية موروثة(٣)، فهل في ذلك تأثر بأي مؤثرات خارجة عن الإسلام وقِيَمِه؟، الإجابة بالقطع لا.

إلا أن ما يجب التنويه إليه أن ما أحدثه معاوية ﷺ من جعل ولاية

---

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م، (المقدمة) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١/ص٢٦٢؛ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) دراسة سياسية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١/١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١١٦.

(٢) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت٥٧١هـ/١١٧٥م، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، المعرف بـ "تاريخ دمشق"، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١٧/ ص١٥٥.

(٣) حسين عطوان: الأمويون والخلافة، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٨٦م، ص٤٥.

العهد لابنه "يزيد" دون غيره، لم يكن سعيًا وراء مصالح شخصية، أو تقليدًا للبيزنطيين والساسانيين، حسب زعم الدكتور حسن؛ فالأمر كان أكبر من هذا بكثير، فمعاوية ﷺ رأى – بعد التجارب التي وقعت من اختلاف المسلمين حول الخلافة – أن المصلحة تقتضي أن يعهد بالخلافة لأحد بعده؛ لاستقرار الأمور ومنع الخلاف، كما رأى أنه لو عهد لأحد من غير بني أمية لحدث ما كان يخشاه من الخلاف؛ لأنهم لن يقبلوا أن تخرج الخلافة منهم(١)، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن معاوية كان محقًا في رؤيته، فقد شهد له أئمة أعلام بحسن سياسته حتى قالوا فيه: "لو أصبحتم في مثل عَمَل معاوية، لقال أكثركم: هذا هو المهدي"(٢).

وقد دافع ابن خلدون(٣) عن صنيع معاوية قائلًا: " والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه؛ إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية؛ إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول؛ حرصًا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع، وإن كان لا يُظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك، وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في

(١) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص١١٧.
(٢) أبو بكر بن الخلَّال: أحمد بن محمد بن هارون، ت٣١١هـ/٩٢٣م، السنة، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١/١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٢/ص٤٣٧.
(٣) المقدمة، ج١/ص٢٦٣.

قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه"، وتؤيد الوقائع والأحداث اللاحقة دِفاع "ابن خلدون" وحجيته في صنيع معاوية ﷺ؛ انظر ما حدث عندما رفض "معاوية بن يزيد" تحمل أعباء الخلافة؛ لضعفه، ردّ الأمر للأمة قائلًا: "فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم"(١)، فنشب صراع على الخلافة جراء ذلك، ووقعت فتن وأحداث عظام(٢)، وبهذا بات واضحًا أن تلك الفئة من المؤرخين والمستشرقين لا يكترثون بتحقق الحقيقة التاريخية بدوافعها وأسبابها؛ حتى تؤول بالقارئ إلى صورة مشوهة مزيفة، بعيدة عن الإنصاف، والتجرد.

بل إن أية قراءة متأنية لسياقات الاستدلال الذي ساقه الدكتور "حسن إبراهيم حسن" لإثبات أن معاوية ﷺ كان يرمي لجعل الخلافة ملكًا كسرويًا، لن تخفق في أن تعطي للقارئ أنه تعمد لَيّ عنق النص ليبرهن على زعمه، وأن يفصح عن معنى خلاف الأصل الذي وُضِع له؛ فقول معاوية ﷺ : "أنا أول الملوك" يُعد من دلائل نبوته ﷺ لقوله: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك – أو ملكه– من يشاء"(٣)؛ فإذا عددنا من ولاية أبي بكر ﷺ

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت٣١٠هـ/٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢/١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م، ج٥/ص٥٣٠، ٥٣١.

(٢) خليفة بن خياط: أبو عمرو بن خليفة الشيباني العصفري، ت٢٤٠هـ/٨٥٤م، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم , مؤسسة الرسالة، دمشق , بيروت، ط٢/١٣٩٧هـ، ١٩٧٦م، ص٢٥٧-٢٦١؛ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص١٣٢- ١٣٦.

(٣) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق، ت٢٧٥هـ/٨٨٨م، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ==

إلى تسليم الحسنﷺ لمعاويةﷺ كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يومًا(١)، حتى إن معاوية لما سمع هذا الحديث قال معقبًا – أيام خلافته بلا شك – رضينا بالملك(٢)، فولاية الملك إذًا تبدأ بتولية معاوية سُدة الحكم، يُعضض هذا ويزيده وضوحًا أن ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) قال في تاريخه(٣): إن من السُنة أن يقال لمعاوية: مَلك. علاوة على ذلك فالخلافة والملك والإمارة عناوين اصطلاحية تتكيف في التاريخ باعتبار مدلولهن العملي، والعبرة دائمًا بسيرة المرء وعمله(٤)، فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خير من معاويةﷺ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرًا منهم في زمن معاويةﷺ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده، وأما إذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ظهر التفاضل(٥).

==

ط١/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٧/ص٤٣.

(١) أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله المعافري، ت٥٤٣هـ/١١٤٨م، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب، محمود مهدي، دار الجيل، بيروت، ط٢/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٠٧.

(٢) الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان، ت٢٧٧هـ/٨٩٠م، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٣/ص٣٥٥.

(٣) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١/١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١١/ص٤٣٩.

(٤) تحقيق العواصم من القواصم، هامش رقم (٤٠٢)، ص٢١٥.

(٥) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ==

*** وعند إلقاء نظرة على ما سطره الدكتور "حسن إبراهيم" حول النظام الإداري للدولة الإسلامية لا يمكن للمرء أن يتجاهل أثر المستشرقين الواضح على كتاباته؛ حيث بين أن النظام الإداري للحكومة الإسلامية – في صدر الإسلام والدولة الأموية – ظل في الجملة على ما كان عليه في بلاد الفرس والروم دون أن يدخل عليه تغيير يستحق الذكر(١)، في تأصيل واضح منه للفكرة الاستشراقية القائمة على ربط النظم الإسلامية بأصول أجنبية وتأثرها بها، إن فيما أورده المستشرق فون كريمر Von Kremer's (١٨٢٨-١٨٨٩م)(٢)، لدلالة قوية على تأصيل تلك الفكرة؛ إذ يقول: إن عمر بن الخطاب ﷺ وافق على أن تبقى النظم الفارسية والساسانية في كافة إدارات الدولة، هذا إلى جانب ما نوّه إليه بعض المستشرقين(٣) من أن الأمويين نزعوا نزوعًا متزايدًا إلى اقتباس المآثر البيزنطية، وحاولوا محاكاة الأباطرة البيزنطيين، والساسانيين محاكاة واعية.

وحسب ما تقدم نقطع – بلا ريب – أن الدكتور "حسن" أسس أفكاره

==

ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٦/ص٢٣٢.

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ ص٣٧٦.

(2)The Orient under the Caiiphs, Translated from, Von Kremer's Culturgeschichte des Orients, By S. Khuda Bukhsh, , Published by the University of Calcutta,1920,p.73.74.

(٣) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: د. إحسان عباس، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١م، ص٦٤، ٦٥؛ برنابي روجرسون: ورثة محمد ﷺ (جذور الخلاف السني الشيعي)، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٣٣٤.

على ما ورد من أقوال خاطئة وملتوية من المستشرقين، فما قدمه الطرفان من تصورات وآراء حول النظام الإداري في صدر الإسلام والعصر الأموي شكل – قطعًا – مجالًا خصبًا لتشويه وتحريف الصورة الحقيقية لحضارة الإسلام ونظمها، فمن يتصور أن النظم الإسلامية متأثرة بالحضارات القديمة، وأنها تقليد مقتبس ليس إلا مخطئا في تصوره، فمن المعروف لدى مؤرخي الحضارات أن النهضة لا يمكن أن تتحقق بسب معارف تستورد من الخارج؛ لأن ذلك وحده لا يحقق نهضة، إذ لا بد من الإبداع والقدرة على الابتكار، بمعنى آخر لا بد من وجود أمة متحضرة مؤهلة للفهم قادرة على التفاعل ثم الإنتاج الذي يتسم بالأصالة(١).

تلك الأصالة تؤكد عليها الروايات التاريخية العائدة لفترة تأسيس الدواوين المركزية (العطاء، والجند) بعاصمة الخلافة، وتوابعها بالأمصار، والتي ترسم الملامح الواضحة للإجراءات والتدابير التي اتخذت زمن عمر بن الخطاب ﷺ لتدوين الجند وعطاياهم، من إحصاء الناس وتدوينهم في سجلات وفق منازلهم، وقبائلهم وبطونهم، ومقدار أعطياتهم المستحقة لذلك(٢)، وضمن هذه الإجراءات وردت إشارة أخرى تؤكد على وجود سجلات للمقاتلة بسائر الأمصار لتوزيع الأعطيات بموجب هذا التدوين، فزياد بن

(١) فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية للنشر والتوزيع، عَمّان، ط١/١٩٨٨م، ص١٧٤.

(٢) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت٢٧٩هـ/٨٩٢م، فتوح البلدان، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص٤٣٢، ٤٣٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص٢٠٩- ٢١١.

أبيه كان مكلفًا من قبل الإدارة المحلية بالبصرة أن يكتب للناس ويدونهم[١].

كما أن تقسيمات الولايات الإدارية التي اتبعها المسلمون في الشام بما يُعرف بنظام الأجناد، وهو ما يختلف – بطبيعة الحال – عن التقسيمات الإدارية المتبعة لدى البيزنطيين تؤكد هذه الأصالة وتعضدها؛ فالبلاذري[٢] بين أن المسلمين اختلفوا في تسمية الأجناد، فقال بعضهم: سمى المسلمون فلسطين جندًا؛ لأنه جمع كورًا (مدنًا)، وكذلك دمشق، والأردن، وحمص مع قنسرين، وقال بعضهم: سُميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جندًا، فرواية البلاذري يفهم منها أن الإدارة المركزية أيام عمر ﷺ قسمت بلاد الشام تقسيمًا إداريًا في المقام الأول، ثم عسكريًا، وماليًا فكل جند – فيما يبدو – بذاته، فالأجناد إذًا كانت تختلف كلية عن الولايات البيزنطية، ومغايرة لتقسيماتها؛ وهذا يرجع إلى أن الإستراتيجية الإسلامية تنظر إلى البادية مستندًا لها لا إلى البحر كما كان عند البيزنطيين، فتوزيع القبائل العربية في الشام كان له أثر في ذلك[٣]، وعلاوة على ما ذكرنا نجد ديوانًا خاصًا بالمواريث فإحدى الروايات تذكر أن "أبا سلمة سليم بن عتر ت٧٥هـ/٦٩٤م" قاضي الجند بمصر من قبل عمرو بن العاص، وضع سجلًا سجل فيه أقضيته في المواريث، وكان يشهد عليه شيوخ الجند، فصار

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص٢٩.

(٢) فتوح البلدان، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري "الممارسات والنظرية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١/١٩٩٤م، ص١٢٢.

بذلك أول القضاة يسجل سجلًا بقضائه في مصر(١)، فضلًا عما استحدثه الأمويون من دواوين دعت إليها الحاجة وتطور المجتمع سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا؛ فقد أسسوا ديونًا عرف بـ "ديوان الخاتم" كان أول من اتخذه معاوية ﷺ، و ولّاه "عبيد الله بن أوس الغساني(٢)" وسلّم إليه الخاتم مكتوب على فصه "لكل عمل ثواب"(٣)، وإبان عهد الوليد استحدث ديوانًا عرف بـ" ديوان المستغلات" وكاتبه عليه مولاه "نُفيع بن ذُؤيب"، واسمه كان مسجلًا على لوح في سوق السراجين بدمشق(٤)، وهذا الديوان أشرف على واردات بيت المال من أراضي الدولة وما عليها من أسواق وطواحين مؤجرة(٥)، بينما نلحظ وجود ديوان سُمي بـ"النفقات"؛ كان مهمته تنظيم نفقات الدولة وتدبير

(١) الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف، ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٥م، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٢٤.

(٢) كان كاتبًا لمعاوية ﷺ في خلافته، وليزيد ولده؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٨/ص١٩٦، ١٧٠.

(٣) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل، ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م، الأوائل، تحقيق: د. محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٠٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦/ص١٨١؛ الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس، ت٣٣١هـ/٩٤٢م، كتاب الوزراء والكُتاب، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٤.

(٥) ابن حوقل: أبو القاسم محمد البغدادي، ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ج٢/ص٣٠٣.

ما تحتاج إليه، فقد أشار الجهشياري[١] إلى ذلك بقوله: إن "عبد الله بن عمرو بن الحارث" كان يكتب لسليمان على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقيق.

وتأسيسًا على هذا العرض تتجلى لنا حقيقة التغيير الإداري الذي أحدثه المسلمون لمواكبة تطورات المجتمع ومتطلباته، هذا إلى جانب زيف الاتهامات التي ساقها الدكتور "حسن إبراهيم حسن" من أن النظام الإداري للحكومة الإسلامية في صدر الإسلام وإبان العصر الأموي ظل في الجملة على ما كان عليه في بلاد الفرس والروم دون أن يدخل عليه تغيير يستحق الذكر. الأمر الذي يجعلني أتعجب كل العجب من إصدار مثل هذه الأحكام العامة، والشطط في التجاوز جريًا على نهج المستشرقين دون تحقق أو تثبت!!!، مع أنه أورد عرضًا لبعض تلك الدواوين[٢].

*** وتماشيًا مع الرؤية الاستشراقية التي تُظهر الإسلام وحضارته في ثوب المتأثر بالآخر دون رويّة في تحقيق الأمر، نجد الدكتور "حسن إبراهيم حسن" يبدي قناعته بأن المسلمين تأثروا في نظامهم الحربي بالفرس والروم، إذ بيّن أنه في عهد الأمويين اختلط العرب كثيرًا بالفرس وأخذوا عنهم نظام التعبئة أي: تقسيم الجيش إلى خمس كتائب؛ ولذلك كانوا يسمون الجيش كله خميسًا[٣]، وهذا ما يتناغم مع زعم المستشرق فون كريمر Von" Kremer's"[٤]

(١) كتاب الوزراء والكتاب، ص٣٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ ص٣٧٦- ٣٨٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ ص٤٠٦.

(4)The Orient under the Caiiphs,p.101,344,345 .

من أن العرب – على حد قوله – أخذوا الشيء الكثير عن الأجانب في المسائل الحربية، مدعيًا أن الأمويين وجهوا عنايتهم الخاصة إلى هذا الأمر واتبعوا النظم الحربية الرومانية.

وبإمعان النظر قليلًا في بيان مدى صحة هذا الأثر المزعوم؛ أقول: إننا أمام مغالطة تاريخية فجّة تظهر بجلاء عدم اكتراث الدكتور "حسن إبراهيم" لإثبات الحقائق التاريخية وفق دلائلها الصحيحة بعيدًا عن سيطرة المنهج الاستشراقي في عرض الوقائع والأحداث؛ فالقرائن والأدلة التاريخية تشير إلى أن تسمية الجيش بـ "الخميس" لم تكن نتيجة الاختلاط بالفرس أو غيرهم من الروم زمن بني أمية، فمُسمَّى الخميس كان معروفًا لدى العرب في جاهليتهم فالشاعر الجاهلي "أوس بن حجر" أنشد قائلًا:

نكصتُمْ على أعقابكُمْ يومَ جئتُمْ ** تَزُجّونَ أنْفالَ الخَميسِ العَرَمرَمِ(١).

فالعرب في أيامهم عرفوا نظم التعبئة الجيدة فقسموا الجيش: ميمنة، وميسرة، وقلب، ثم أضافوا إلى ذلك المقدمة، والساقة، فصار الجيش مؤلفًا من خمس كتائب، لذا كانوا يطلقون عليه اسم (الخميس)؛ لتألفه من خمسة أقسام معروفة(٢).

في حين نجد ابن هشام(٣) يذكر أن يهود خيبر لما شاهدوا الرسول ﷺ

(١) ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٢٤.

(٢) عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م، ص٤٦.

(٣) السيرة النبوية، ج٤/ص٢٩٩.

والجيش وقت المسير إليهم قالوا: محمد والخميس معه أي (الجيش)، فضلًا عن ذلك فإن لفظة "الخميس" والتي استشهد بها "الدكتور حسن" لدلالة على تقسيم الجيش إلى خمس كتائب، يقصد بها في الأصل – كما يقال – الجيش المنظم الكبير الذي يحارب بإمرة وبنظام(١)، كما ورد أن الخميس هو الجيش، أو الجيش الجرار، أو الجيش الخشن، بل قيل: إن الجيش سُمي خميسًا؛ لأنه تخمس فيه الغنائم(٢). كما أن نتائج البحث والاستقصاء في النصوص والروايات التاريخية تُفضي إلى دلالة قوية ومهمة من أن نظام التعبئة لم يكن بأي حال من الأحوال نتيجة تأثر العرب بالفرس زمن بني أمية، بل نجده نظامًا معمولًا به في موقعة صفين (٣٧هـ/٦٥٧م) من قبل علي ﷺ(٣)، فحريّ بنا إذًا أن نقرر بأن مدعاة المستشرقين ومن نهج نهجهم كالدكتور "حسن إبراهيم حسن" لا تقوم على ساق بأي حال من الأحوال.

*** ويأتي إعلان الدكتور "حسن إبراهيم حسن" عند حديثه عن المرأة العربية، بأن اتخاذ الحريم يرجع كما يقول فون كريمر Von" Kremer's إلى

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٠/ص٧٣.

(٢) ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، ت٧١١هـ/١٣١١م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ، ج٦/ص٧٠، مادة: "خمس".

(٣) فقد جعل ﷺ على المقدمة الأشتر النخعي، وعلى ساقته شريح بن هانىء، وعلى المهاجرين، والأنصار محمد بن أبي بكر، وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس، وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر، وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن علي ﷺ؛ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م، الإمامة والسياسة "المنسوب إليه"، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١/ص٨٨.

عهد الوليد الثاني الذي أدخل كثيرًا من العادات البيزنطية في البلاط، واتخذ الخصيان أمناء لقصره[١]، ليؤكد على تتبعه لمنهج الأثر والتأثير الذي جعله المستشرقون سمتًا للحضارة الإسلامية!!، فتأثر البلاط الأموي بالعادات والتقاليد البيزنطية كان محورًا لاهتمام عدد من المستشرقين أمثال: فون كريمر Von" Kremer's"[٢]، و "فليب حتي" والأخير أكد على ذلك بقوله: إن نظام الحريم رافقه استعمال الخصيان في القصر الأموي، وأن هذا لم يعرف حتى أيام الوليد الثاني، قائلًا: ولعل عادة اتخاذ الخصيان في البلاط قد نقلت عن البيزنطيين[٣].

إن ما قرره المستشرقون – سلفًا – ومن صوَّغ نهجهم وطبقه يبدو لي مثيرًا للإعجاب والدهشة؛ لأنه بإمعان النظر في صحة هذا الأمر من عدمه، يظهر صنعية الخبر واختراعه في أسلوب ينمُّ عن تعمد لتشويه وقلب الحقائق التاريخية؛ فقد أوضح الدكتور "جوّاد علي"[٤] في كتابه الذي ألَّفه حول تاريخ العرب قبل الإسلام، أنهم كانوا يستخدمون "الخصي" لخدمة أهل البيت من النساء، وهذا يتعارض تمام التعارض مع زعم الدكتور حسن إبراهيم وغيره من المستشرقين، كما يدعم بالأساس نفي تأثر البلاط الأموي بالتقاليد والعادات البيزنطية، وأن عادة اتخاذ الخصيان جرى استخدامها قبل مجيء الإسلام.

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ص٤٦٣.

(2)The Orient under the Caliphs,p.148.

(٣) فليب حتي: تاريخ العرب (مُطوَّل)، دار الكشاف للنشر والطباعة، ١٩٥٠م، ج٢/ص٢٩٧.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩/ص٣٣، ٣٤.

ومن المؤكد أنه لا ارتباط بين الخصيان واتخاذ الحريم (النساء والجواري) في البلاط الأموي، فالخصيان كانوا في خدمة رجالات القصر دون نسائه؛ حتى إن معاوية لما أدخل خصِيّه على زوجته استهجنت فعله، فاسترجع معاوية، وعلم أن الحق معها، فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادمًا، وإن كان كبيرًا فانيًا[1]، كما أن الروايات المتصلة بحياة خلفاء بني أمية بصفة عامة تُقوِّض ثبوت مرافقة اتخاذ الخصيان بنظام الحريم[2]، ومن المفيد في هذا السياق توضيح أمر في غاية الأهمية هو أن معاوية أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته[3]، ولم يكن الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) بأي حال من الأحوال.

*** ومن يطالع ما كتبه الدكتور "حسن إبراهيم" حول نظام الحكم في العصر العباسي يلحظ أنه ناقش مسألة تأثر هذا النظام بما كان لدى الفرس، مشيرًا إلى أن أبا جعفر المنصور أسس نظامًا سياسيًا سارت عليه الدولة العباسية كما كان مألوفًا عند الفرس، وأن من أثر ميل الخلفاء العباسيين إلى الفرس؛ أن أصبح نظام الحكم في عهدهم مماثلًا لما كان

---

(١) المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قُم، ١٤٠٩هـ، ج٤/ص١٥٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦/ص٣٩١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٧/ص١٥٦، ج٥٧/ص٢٠٦، ج٦٨/ص١٨٧،١٧٦؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٣/ص٥٣٣.

(٣) أبو هلال العسكري: الأوائل، ص٢٤٧.

عليه في بلاد الفرس أيام ساسان"[١]. كل ما تقدم لا نستطيع معه إلا أن نؤكد على أن رأي الدكتور "حسن إبراهيم" جاء متكئًا على رأي بعض المستشرقين ومنهجهم؛ يقودنا إلى هذا استشهاده بما ذكره المستشرق الانجليزي إدوارد هنري بالمر (E. H. Palmer) 1840- 1882م[٢]، من أنه لما كانت الدولة العباسية تدين بالولاء للفرس في صعودها لسدة الحكم؛ كان من الطبعي أن تسود الآراء والمظاهر الفارسية، فنجد وزيرًا من أصل فارسي وفقًا لذلك، كما أن الدولة كان يُدار فيها كل شيء على نسق الإمبراطورية الساسانية. أضف إلى هذا أن ما عرضه الدكتور حسن يمثل صدًا قويًا لما ذكره الإنجليزي ((Gustave E. von Grunebaum"جوستاف إ. فون جرونيباوم ١٩٠٩– ١٩٧٢م"[٣] من أن الإدارة في الدولة العباسية، ومراسم البلاط بها اصطبغوا بالصبغة الفارسية.

يتضح أن ما نهجه الدكتور "حسن إبراهيم" – في هذا السياق– يعتمد في الأساس على ما روّج وشاع من أن العنصر الفارسي قامت على أكتافه الدولة العباسية؛ فهو عصر ذو صبغة فارسية فالعُجمة الإيرانية (الفارسية) انتصرت على العروبة تحت ستار الإسلام[٤] على حد زعمهم، إن مثل هذه

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢/ص٢١١، ٢١٢.

(2)Harun Al Rashid: Caliph Of Baghdad, London Marcus Ward 67 and 68, Chandos Street, and Royal Ulster Works, BELFAST, 1881,p.37 .

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢/ص٨٢، ٨٣.

(٣) حضارة الإسلام، نقله للعربية: أ. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤م، ص٢٥٨.

(٤) يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية منذ ظهر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ==

النتائج التي باتت مسلمة لدى الكثير من المستشرقين ومن انقاد نحوهم وقلدهم من المؤرخين المحدثين لا تعبر بصدق عن طبيعة الأحداث والوقائع التاريخية ذات الصلة، فالقراءة المتأنية للروايات التاريخية المتعلقة بأمر الدعوة العباسية تجعل المرء أمام براهين تؤكد على قوة العنصر العربي؛ فالقائمون على الدعوة كانوا من العرب الخُلص(١)، أضف إلى هذا أن مثل هذه التخريجات من سيادة النظام الفارسي وسيطرتهم على العصر العباسي الأول مبالغ فيها؛ لأن طبيعة الأحداث وسياسات الخلفاء العباسيين لا يمكن أن ترضى لنفسها هذا التفسير الاستشراقي العنصري(٢)؛ ولعل أصدق دليل على هذا الاتجاه ما رواه الطبري في تاريخه(٣) من أن عبد الله السفاح الخليفة العباسي الأول (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م) كان يعتز بقيمه

==

ترجمة: د. محمد عبد الهادي أبو رِيدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢/١٩٨٦م، ص٥٢٨.

(١) فنجد من خزاعة: سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وزياد بن صالح، وطلحه ابن رزيق، وعمرو بن أعين، ومن طيئ: قحطبة واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان، ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة، ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع، كلهم من بني امرئ القيس، وأسلم بن سلام أبو سلام، ومن بكر بن وائل: أبو داود خالد بن إبراهيم من بني عمرو بن شيبان أخي سدوس وأبو علي الهروي؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧/ص٣٧٩، ٣٨٠؛ ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢١٤، ٣١٩.

(٢) فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، ص١٤٥.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٧/ص٤٢٥.

الإسلامية؛ فالعباسيون من وجهة نظره أهل الإسلام، وكهفه وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، بل تكشف لنا مراسم بلاطه على تمسكه بالقيم والتقاليد الإسلامية العربية؛ فكان يتزيّن بالعمامة السوداء، وتحية مجلسه "السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" بدلًا من تقبيل الأرض(١)، وبالجملة ظلت العربية – في أيامه وأيام خلفه – لغة الإدارة والسياسة والثقافة والفكر(٢). والمفهوم الذي يقدمه الدكتور "حسن" حول تأسيس أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) لنظام سياسي كالمألوف لدى الفرس، مفهوم يخرج عن حدود المنهج العلمي، ويترك معه الباب مفتوحًا لتشويه الحقيقة التاريخية وتحريفها؛ فالمنصور كان متأثرًا إلى حد كبير بسياسة وإدارة خلفاء بني أمية للدولة، فكان يتخذ من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك مثالًا يحتذى به؛ بسبب كفاءته الإدارية(٣)، وكان يثني عليه ويقول: رجل القوم(٤).

بل إن الروايات التاريخية تقدم كثيرًا من الاستدلالات على صدق ما ذهبنا إليه، فضلًا عن أنها تكشف عن مدى تأثر الدكتور "حسن" بهذا

---

(١) الصابي: هلال بن المحسن بن إبراهيم، ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م، رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢/١٩٨٦م، ص٣١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨/ص٣٧٧.

(٢) فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص١٤٥.

(٣) فاروق عمر فوزي: الخلافة الأموية (دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عَمّان، الأردن، ط١/٢٠٠٩م، ص٤٩٢.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣/ص٢٨٣.

المنهج الاستشراقي المعوج، فالمنصور كان يقول:" ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر، لا يكون على بابي أعف منهم، قيل: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قال: هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم، كما إن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم، إن نقصت قائمة واحدة فقد وهِي، أما احدهم: فقاض لا يأخذه في الله لومة لائم، والآخر: صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث: صاحب خراج يستقضي ولا يظلم الرعية فإني غني عن ظلمهم. ثم عض أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة: آه آه على الرابع فقيل له: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة"(١)، بل إن شغل المنصور كان في صدر نهاره بالأمر والنهي، والولايات، والعزل، وشحن الثغور والأطراف، وأمن السبل، والنظر في الخراج والنفقات، ومصلحة معاش الرعية، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته، فإذا صلى العشاء جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والأطراف والآفاق، وشاور سماره، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه، وانصرف سماره، وإذا مضى الثلث الثاني قام فتوضأ وصلى، حتى يطلع الفجر، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في إيوانه(٢)، وهذا يظهر تمسك أبي جعفر المنصور بالقيم والتقاليد الإسلامية، ومن ثم لا يستقيم قول القائل: إن المنصور أسس نظامًا على غرار ما كان مألوفًا لدى الساسانيين!!!.

---

(١) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٧/ص٣٤٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥/ص٢٠١.

وفي سياق متصل يُسلِّم الدكتور "حسن إبراهيم"[١] بأن العباسيين أخذوا نظام مجالسهم عن الفرس؛ مستندًا على ما رواه الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م[٢] من أن أبا العباس السفاح كان يظهر للندماء في مجلسه، ثم احتجب عنهم، كما كان يظهر سروره وابتهاجه لندمائه ومعنيه ...، ويُضعّف هذا الخبر ويدل على اختلاقه؛ أن الجاحظ ذكره رواية عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي المولود عام ١٥٠هـ/٧٦٧م[٣]، فالموصلي حامل الرواية ليس من معاصري أبي العباس السفاح المتوفى سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، فعلى من تلقى الخبر، ومن أين جاء به؟!!!، كما يقدح في الخبر علاوة على ذلك أن الجاحظ والذي انبرى في نقل مثل هذه الأخبار ليس بثقة ولا مأمون في نقله[٤]، ومن أكذب الأمة وأوضعهم لحديث، وأنصرهم للباطل[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام، ج٢/ص٣٤١.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١/١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ص٣١، ٣٢.

(٣) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد، ت٦٨١هـ/١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج١/ص٢٠٤.

(٤) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط٢/١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٣٠١.

(٥) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م، تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي، ط٢/١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١١٢.

ثانيًا:- منهج الإسقاط

*** وإمعانًا من الدكتور "حسن إبراهيم" في رسم علاقة بين رؤية بعض المستشرقين حول رسالة النبي ﷺ وبين تعقبه لتلك الرؤية، حاول الممازجة والموافقة بينهما عن طريق تبني وجهة نظر بعض المستشرقين في الخضوع للمنهج الإسقاطي المنبثق من بيئتهم الثقافية وخلفيتها التاريخية؛ حيث يلحظ أنه استشهد بما ذكره المؤرخ الأمريكي كيركمان جي فينلي ١٨٧٧-١٩٣٨م (Kirkman G. Finlay)[١] من أن نجاح النبي ﷺ كمشرّع بين أقدم الأمم الآسيوية، وبقاء نظمه على مدى أجيال في كل نواحي النظم الاجتماعية، لدليل على أنه رجل خارق كوّن مزيجًا نادرًا من كفايات ليكورجوس (Lycurgus) والإسكندر (Alexander)، وينسجم هذا ويتوافق مع الصورة التي قدمها المستشرق الفرنسي هنري دي بولانفلييه ١٦٥٨-١٧٢٢م (Henri Boulain Villier) للنبي ﷺ على أنه رجل حكيم من رجال التشريع العقلاني مثل ذلك النمط من العقلانيين الذين عرفهم عصر التنوير الأوروبي، إضافة إلى دور البطولة العسكرية في نمطها ومثلها الأوروبي أيضًا كالإسكندر الأكبر[٢].

هذا ومن الغريب حقًا أننا نجد الدكتور "حسن" يستشهد بكلام "فينلي"

---

(1) Greece Under the Romans, George Finlay, J. M. Dent & Company, London, 1907,p.352

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ص١٤٩.

(٢) رياض بن حمد بن عبد الله العُمري: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ، ج١/ص١٠٥.

في ختام حديثه ورده على المستشرقين حول الرسالة المحمدية، ولا شك في أن ممارسة هذا المنهج وتأييده تقرر دون مبالغة؛ أن النبي ﷺ مشرع كأي مصلح اجتماعي(١)، أو بطل قومي لبني جنسه، والحق أن مثل هذه الظواهر ما هي إلا صدى للمنهج الإسقاطي، إذ إن النتيجة المتوقعة لمثل هذا أن يسقط المستشرق ومن يقلده، أو يتأثر به تصوره لحياة هذا المصلح أو المشرع، أو البطل قومي، أو الفاتح على شخصية الرسول ﷺ. فحسب هذا الأسلوب امتلك ﷺ مزيجًا نادرًا من كفايات ليكورجوس (Lycurgus) والإسكندر (Alexander).

وإن قراءة لتاريخ "ليكورجوس" تؤكد أنه أحد مشرعي إسبارطة اليونانية العظام، سعى لإصلاح الأوضاع المختلة في وطنه؛ فاستبدل بعض العادات البالية بفرض قواعد جديدة اقتبس بعضها مما أعجبه من إحدى المدن التي زارها، ونسب الكل للآلهة حتى يتمكن من التغيير المطلوب، ومن وجهة نظر البعض فإن دستور (ليكورجوس) ظل مدة طويلة؛ لأنه استطاع الجمع بين أشكال الحكم الثلاثة الملكية والأرستوقراطية، والديمقراطية بصورة متناسبة ولم يترك مجالًا لتغلب أحد العناصر على الآخر(٢).

أما الإسكندر الأكبر فنلحظ مما نقل عنه، أنه كثير التدين كل يوم

---

(١) يؤيد وجهة نظري أن الدكتور حسن إبراهيم عند ختام حديثه عن أثر الإسلام في العرب ذكر أن صفوة القول: أن الرسول ﷺ على ما وصفه "ميور" في كتابه "حياة محمد" "لم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيا أخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد"؛ تاريخ الإسلام، ج١/ص١٧٤.

(٢) محمد كامل عيّاد: تاريخ اليونان، دار الفكر، دمشق، ط٣/١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج١/ص١٧٧- ١٨٠.

يتقرب إلى الآلهة بالطقوس والقرابين، ولا يعقد العزم على أمر مهم دون أن يشفعه بالتقادم، فعرّاف البلاط كان له الأثر الحاسم في تقوية إيمانه وتوجيه بأن عليه القيام بما عهدت السماء إليه مما يتوافق ومجد سلالته وشرف أرومته؛ لذا كان يعتقد أن رسالة سماوية أُنيطت به، وأن المجد كل المجد قائم على تحقيقها، وأن عليه جمع قارتي أوروبا وآسيا تحت إمرته في حكم واحد(١).

وهكذا لا يفلت القارئ من الجزم بخلل هذا النهج الإسقاطي؛ لأنه طريقة مبطنة لتجريد النبي ﷺ من نبوته، فالرسول ﷺ لم يكن بأي حال من الأحوال مزيجًا نادرًا من كفايات ليكورجوس (Lycurgus) والإسكندر (Alexander)؛ لأن تشريعات الأول وإصلاحاته في إسبارطة تُلمح إلى أن فكرة الرسالة جاءت عرضًا في ذهن النبي ﷺ، وأنها مكونة من مزيج من معارف وآراء وليدة بيئته، أو تلقَّاها عن آخرين، إضافة إلى ذلك أن كفايته المزعومة تمتزج في الغالب بين الحقائق والأساطير؛ فالروايات اليونانية تثبت أن ليكورجوس بعد أن انتهى من وضع قوانين إسبارطة ذهب لأحد المعابد وامتنع عن الطعام حتى مات(٢)، مما يوحى أن دعوة النبي ﷺ وسيرته تمتلئ بالأساطير والخرفات، وأنها صادرة عن حاجة زمنه، وشكّلتها ظروفه، أما كفاية الإسكندر فتشير دون لبس إلى أنه ﷺ سعى لتجميد نفسه، وفرض نفوذه وسلطانه على العالم، من خلال ما جاء به من دين أوحت به

(١) الأب متوديوس زهيراتي: الإسكندر الكبير فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في المشرق، دار طلاس، دمشق، ط١/١٩٩٩م، ص٨٠، ٨١.

(٢) محمد كامل عيّاد: تاريخ اليونان، ج١/ص١٧٩.

نفسه.

علاوة على ذلك فإن وصف النبي ﷺ بالرجل الخارق وأنه كوَّن مزيجًا نادرًا من كفايات فلان وفلان، يبدو منه ثناء وإنصاف يخدع ضعاف المسلمين وإغرارهم، حين يرون أحد المستشرقين يُبدى ميلًا مصطنعًا إلى إنصاف نبي لا يدين بدينه. هذا القول المُشبّع في ظاهره بروح المودة يخدع كثيرًا من المسلمين فيتقبلونه قبولًا حسنًا، وينتهي بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحدًا من الزعماء، والفلاسفة، والمفكرين، والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب في العصور القديمة والحديثة(١)، مع أنه نبي معصوم مُوحى إليه وما نطق عن الهوى، فالوحى قاده ووجّهه في سائر حياته. وعليه فإن هذه الفكرة الإسقاطية ترسم صورة شديدة التشويه لحياة وسيرة النبيﷺ، والتي دُمجت في النسيج الأساسي للفكر الاستشراقي عن الإسلام وحضارته، وتوارثتها أجيال من المؤرخين المحدثين –بوعي أو بلا وعي – كجزء لا يتجزأ من كتاباتهم.

*** وفي تأكيد على اعتماد الذهنية الاستشراقية في العرض التاريخي، والذي يفضي إلى الكشف عن عدم التحرر من أطر المنهج الإسقاطي؛ سجل الدكتور "حسن إبراهيم"(٢) في أثناء حديثه عن صفات سيدنا علي بن أبي طالبﷺ قولًا للمستشرق الإنجليزي رينولد ألين نيكلسون

(١) محمد محمد حُسين: حُصوننا مُهددة من داخلها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤/١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٣٣.

(٢) تاريخ الإسلام، ج١/ص٢٣٣.

١٨٦٨- ١٩٤٥م (Reynold Alleyne Nicholson)[١] مفاده أنه ﷺ كان يعزوه حزم الحاكم ودهاؤه، برغم ما كان يمتاز به من فضائل كثيرة ...، يمكن مقارنته بـ" مونتروز" Montrose، و"بيارد" Bayard" في شجاعته ونجدته.

إنني لا أخطئ إذا قلت: إن أمثال هؤلاء من المستشرقين والمؤرخين المحدثين من بني جلدتنا ممن يحاولون صياغة وتطبيق الثقافة الغربية على التاريخ الإسلامي وحضارته، يفرضون توافقًا، أو محاكاة تبدو مستحيلة، إن طرح نيكلسون والذي اعتمده الدكتور "حسن إبراهيم" تأثر دون شك بالنزاعات والصرعات القومية التي سادت أوروبا خلال القرن السابع عشر الميلادي وما قبله، فضرب المقارنات بين أبطال تلك القوميات ممن تعقد عليهم الخناصر في البسالة والشجاعة، وبين أعلام الحضارة الإسلامية وتاريخها، هو نوع من تفسير الأحداث التاريخية لنظريات ومفاهيم الحضارة الغربية وصولًا لرسم صورة ذهنية من الانطباعات الموروثة والمختزنة شديدة التشويه لأعلام حضارتنا دون مبالغة.

فإننا إذا ما طالعنا سيرة James Graham Montrose "جيمس جرهام مونتروز" (١٦١٢-١٦٥٠م) و Pierre Terrail Bayard "بيارد بيير ترايل" (١٤٧٦-١٥٢٤م)، يظهر أن الأول تميّز بالشجاعة والبسالة إلا أنه قاد حروبًا - أقل ما تُوصف بالأهلية - ضد وطنه (إسكتلندا) لمصلحة التاج البريطاني، حتى إنه نُفّذ فيه الإعدام جراء ذلك في وقت لاحق للحرب[٢]،

(١) A literary history of the Arabs, New York, C. Scribner's son,1907,p.191

(2) Montrose, and Other Biographical Sketches, The North American Review , Apr., ==

بينما الأخير "بيارد" عُرف أو لُقب بالفارس المميز، الذي لا يخاف، في الوقت الذي قاد فيه جيش بلده فرنسا لاحتلال البلاد الأوروبية المجاورة(١)، وهكذا فإنني أذهب وبيقين إلى أن الدكتور "حسن" لم يتمكن من كسر قوقعة هذا المنهج وأطره مما تمخض معه ولادة نتائج مشوهة، يدفعني إلى ذلك أنه رافق نقله رأي "نيكلسون" بحاشية(٢) تُثبت أنه طالع سيرة موجزة لـ "مونتروز" و "بيارد"، فالمقارنة المزعومة لا تصح بأي حال من الأحوال؛ لأمرين أحدهما:- أن المستشرقين ومن لفَّ لفَّهم أخطأوا حين نظروا إلى تاريخنا بمنظار ثقافتهم، وحضارتهم وتفسيراتهم السائدة عندهم، فقارنوا عليًا ﷺ - بغيره بالمفاهيم والمعايير السائدة حينها في أوروبا، وهذا يخالف المنهج العلمي الصحيح بلا شك، والآخر:- أن سيدنا علي ﷺ من كبار الصحابة الذين وُصِفوا بأن قلوبهم خير قلوب العباد، جعلهم الله وزراء نبيه ﷺ، يقاتلون على دينه(٣)، فضلًا عن أنه رابع الخلفاء الراشدين الذين امتدحهم الرسول ﷺ بقوله: " ... فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين

==

1862, Vol. 94, No. 195 (Apr., 1862), pp. 356-370, Published by: University of Northern Iowa

(1) Biographie universelle, ou, dictionnaire historique des hommes qui se sont fait un nom par leur génie, leurs talents, leurs vertus, leurs erreurs ou leurs crimes, Tome DEUXIÈME. Bruxelles, 1843,p.129,130

(٢) رقمي (٣)، (٤)، تاريخ الإسلام، ج١/ص٢٣٣.

(٣) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله بن هلال الشيباني، ت٢٤١هـ/٨٥٥م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة رسالة، بيروت، ط١/١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٦/ص٨٤.

المهديين، عضوا عليها بالنواجذ ..."[1]، فلا يمكن مقارنته بأي شخص عدا الخلفاء الراشدين السابقين عليه.

ومما يزيد الطين بِلة ويدعو للدهشة والاستغراب حقًا أن الدكتور "حسن إبراهيم" ترك كل هذا وطرحه جانبًا وراح يردد ما ساقه المستشرقون من أن الخليفة الراشد علي ﷺ كانت تنقصه الحنكة السياسية، وحزم الحاكم في صورة مغيرة للحقيقة؛ لأنه ﷺ على الرغم من انشغاله بعد استخلافه بمواجهة المعارضين له؛ حيث خاض غمار العديد من المعارك الطاحنة ضدهم (الجمل وصفين والنهروان)، فقد أظهر خلالها قدرة فائقة على تعبئة الجيوش، وقيادة الناس وتوضيح أحكام الشرع في الحروب الداخلية بين المسلمين، ومنها الكف عن المدبر والإحسان إلى الأسير وإطلاقه بعد انتهاء المعركة أو أخذ العهد عليه أن لا يعود للقتال، وعدم قسمة أموالهم واعتبارها غنيمة سوى السلاح والكراع الذي حملوه في الحرب، وعدم سبي النساء والذراري، وعدم حرمان المخالفين من حقهم في الفيء أو الصلاة في المساجد، وعدم شروعه بالقتال أولا[2]، نستنتج من كل هذا بما لا يقبل الرد

---

(١) ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٣هـ/٨٨٦م، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١/ص٢٩.

(٢) أكرم بن ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٩٢؛ عبد الحميد علي ناصر فقيهي: خلافة علي بن أبي طالب (دراسة نقدية للروايات)، رسالة التخصص الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين قسم (السيرة والتاريخ)، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ، ص٤٤٦، ٤٤٧.

أن استشهاد الدكتور "حسن" بما أورده " نيكلسون" لم يكن ذا فائدة بل لا طائل من ورائه، ولكنه التأثر بالمنهج الإسقاطي وحسب.

وفي السياق ذاته واصل الدكتور "حسن إبراهيم" تبنّيه للمنهج الإسقاطي من خلال تمسكه بآراء "نيلكسون" حين وصف معاوية ﷺ بأنه كان سياسيًا محنكًا لا يقل في مضمار السياسة عن ريشيليو Richelieu (1585-1642م)[١]، وعلى الرُغم من أن هذا الوصف كما يبدو للقارئ لا يحيد به "نيلكسون" عن أسلوب الإعجاب والتقدير بمعاوية ﷺ إلا أنه في الحقيقة أسلوب مغلف بالقذف، يؤكد هذا أن "ريشيليو" والذي وصل إلى رتبة الوزير الأول في فرنسا زمن الملك لويس الثالث عشر(١٦١٠-١٦٤٣م)، عُرف عنه أمام مقاومة الأحداث، والرجال أنه كان انتهازيًا عظيمًا، يعرِف كيف يتكيف مع الظروف ويتجاوزها[٢]، في إشارة خفية إلى أن معاوية ﷺ كان على شاكلته في مضمار السياسة يسعى لتحقيق مصالحه وحسب.

وهكذا ظهر التأثر الواضح من الدكتور "حسن" بالمنهج الإسقاطي كأحد أدوات الاستشراق في كتابة التاريخ الإسلامي، وما رافقه من أفكار ومفاهيم، وتصورات خاطئة، ولا سيما أن بعض المستشرقين يقولون عن معاوية ﷺ أنه كان مصلحيًا نفعيًا (برجماتيًا) من الطراز الأول!!![٣]،

---

(١) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج١/ص٢٤٥؛

Nicholson, A literary history of the Arabs,p.195.

(٢) نور الدين حاطُوم: تاريخ القرن السابع عشر في أوربا، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) برنابي روجرسون: ورثة محمد ﷺ (جذور الخلاف السني الشيعي)، ترجمة: عبدالرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة لكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ==

فحسب هذا النمط والنهج الاستشراقي يتم الخلط في بيان الوقائع والأحداث، بل وتطبيق نظريات وأساليب القرون الحديثة؛ لتبني آراء مسبقة تخالف المنهج العلمي السليم، ومما تجدر الإشارة إليه أن ما عرضه "نيلكسون" وتبنّاه الدكتور "حسن" يشير ضمنًا إلى أن معاوية ﷺ أحسن استغلال الظروف وتكيف معها، وأنه كان انتهازيًا سعى وحسب إلى تحقيق مآربه وأهدافه، حين نازع عليًا ﷺ السلطة وطمع فيها. ولدحض تلك الفرية؛ نبيّن أن أصل المنازعة بين معاوية وبين علي – رضي الله عنهما – لم تكن على الخلافة، يوضح هذا جواب معاوية ﷺ فحين سُئل عن ذلك صراحة: أنت تنازع عليًا! أم أنت مثله؟؛ فرد قائلًا: لا والله إني لأعلم أن عليًا أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه، وإنما أطلب بدمه، فأتوا عليًا فقولوا له، فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له. فأتوا عليًا فكلموه بذلك، فلم يدفعهم إليه[1]، فمعاوية ﷺ إذًا اعتقد أن قتل عثمان ﷺ منكر من أعظم المنكرات؛ وإزالته من حيث هو لمن قُدر عليه فرض كفاية لا يتوقف على إمام يرجع إليه فيه، ومنزلته في الإسلام وعند المسلمين كانت تخوّل له ذلك، فضلًا عن ذلك فقد كان صادقًا، ومتسقًا مع المعهود من شريعة الإسلام وقيم العرب، ولو استطاع علي ﷺ تطبيق شريعة الله في قتلة عثمان ﷺ لانتهى الأمر غالبًا عن ذلك[2].

==

٢٠١٥، ص٣٠٥.

(١) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/ ٢٠٠٣م، ج٢/ص٣٠٣.

(٢)حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها "دراسة الشبهات ورد المفتريات"، دار

==

*** ومما لا يحسن إغفاله أن تفسير المستشرقين للأحداث والوقائع التاريخية بما يتوافق وينسجم مع خلفياتهم الثقافية وظروف بيئتهم التي عايشوها، يؤدي – حتمًا – إلى ظهور وتنامي الظاهرة الإسقاطية في مدوناتهم التاريخية، والتي تأثر بها – بلا شك – ثلة من المؤرخين المحدثين في كتاباتهم، ويُقدم لنا الدكتور "حسن إبراهيم"(١) ما يبرهن على هذا التأثر بذكره أن "الخوارج" يمثلون – الجمهوريين كما يسميهم "فان فلوتن"(٢) – المبادئ الديمقراطية، والتي أكدها المستشرق إيجناس جولد تسيهر(٣) حين بين أن ميل الخوارج للديمقراطية؛ دفعت الطبقات المعدمة الرقيقة الحال للانضمام إليهم. وهذا يكشف أن المستشرقين لم يسعهم الأمر حين درسوا الفرق الإسلامية إلا وأن يطبقوا مفاهيم النزاع العرقي والقومي والطبقي السائد في بيئتهم؛ فصوروا تلك الفرق في صورة أحزاب سياسية تتصارع بكل قوة، وعنف حول سدة الحكم والسلطان.

وإذا افترضنا جدلًا أن الخوارج كان يمثلون المبادئ الديمقراطية، وأنهم الحزب الجمهوري، فإن هذا لم يكن – في الحقيقة – سوى نظرية جوفاء، تناقضت في الصميم مع التطرف الذي التصق بهم وانعكس على سلوكهم

==

القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م، ص١٩١؛ محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار السلام، القاهرة، ط٢/١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص٤٢٤.

(١) تاريخ الإسلام، ج١/ص٣٢١، ٣٣٠.

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ص٦٩.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١٩٢.

بشكل عام[١]، فالوقت الذي كانت فيه الخوارج متفرقة إلى عشرين فرقة[٢]، مما يدفعني للتساؤل أي فرقة من تلك الفِرق تمثل المبادئ الديمقراطية؟!!، بل إن ما يبرهن على بطلان زعم المستشرقين ومن تأثر بهم؛ أن الخوارج كفّروا من يخالفه؛ فهم يكفرون عليًا ﷺ، وعثمان ﷺ، وأصحاب الجمل، والحكَمين، ومن رضي بالتحكيم ومن صوّبهما، أو صوّب أحدهما[٣]، علاوة على رفضهم أن تكون الخلافة في قريش في الوقت الذي كانت زعامتهم متوارثة لمدة من الزمن في بني تميم؛ مما يتعارض وهذا الشكل السطحي لديمقراطية الخوارجية المزعومة[٤]، وهم فرقة خرجت من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

ثالثًا:- منهج التعسف في التفسير والتعامي عن الدليل القاطع

*** إن من أخطر ما في كتب المستشرقين، ومن تأثر من المؤرخين المحدثين بنهجهم وطريقتهم في معالجة الأحداث والوقائع؛ الإنصاف الظاهري فينخدع القارئ بمظهر الإنصاف حتى تصدمه الأقوال، والآراء

(١) إبراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة (مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن مع ترجمة له)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٤١، ٤٢.

(٢) منها: المحكمة الأولى، الأزَارقة، والنّجدات، والصُفرِية، العجاردة المتفرقة فرقًا ...؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م، الفَرْق بين الفِرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٧٢.

(٣) عبد القاهر البغدادي: الفَرْق بين الفِرق، ص٧٣، ٧٤.

(٤) إبراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص٤٢.

التعسفية، والتشكيك في حقائق ثابتة بالنقل الصحيح؛ حينها يحس القارئ بالتحامل والتجافي عند الموضوعية، فمن أغرب المفارقات حقًا –في رأي الشخصي – أن نجد مثل هذا فيما كتبه الدكتور "حسن إبراهيم" عن النجاشي فهو يقول: " أما النجاشي فعلى الرغم من تأكيد الرواية العربية أنه قد أسلم، ومظاهر الصلة التي نشأت بينه وبين محمد ﷺ طوال حياته، فإن هذا كله لا يحملنا على القول بإسلام النجاشي، ولا سيما وأن جمهرة المؤرخين وثقاتِهم يكادون يُجمعون على أن الإسلام لم يظهر بالحبشة إلا بعد دولة من الزمن"(١).

إن الدكتور "حسن" بهذا يؤكد اقتفاءه أثر المستشرق البريطاني R. V. Bodley "ر. ف . بُودلي ١٨٩٢–١٩٧٠م"(٢) الذي تحدّث عن إسلام النجاشي قائلًا: "وقد قيل: إن النجاشي قد قَبِلَ الإسلام، ولكن لا يُوجد ما يثبت ذلك تاريخيًا". هذا في الوقت الذي نجده –أي: الدكتور حسن – يُوسع لهذا التأثر، ويؤصل له مدعيًا أن رواية إسلام النجاشي متأثرة بما أبداه من استقبال المهاجرين لبلاده، وإكرام ضيافتهم، وامتناعه عن تسليمهم إلى قريش حين بعثت إليه في طلبهم. مشككًا في صحة الروايات التي تروي أن النبيﷺ نعى النجاشي إلى المسلمين، مما جعل بعض المؤرخين كالطبري – على حد قوله –يذهبون إلى أنه كان مسلمًا، فضلًا عن رواية عائشة – رضي الله عنها – والتي قالت فيها كنا نتحدّث أنه لا يزال يُرى على قبره

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ص١٤٤.

(٢) الرسول حياة محمد، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جُودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، د ت، ص٢٥٨.

نور، معلقًا أن هذا الحديث إن صح فإنه يبين مبلغ إعجاب المسلمين بالنجاشي[1]. إن هذا التأصيل وما استتبعه من تحليلات، واستنتاجات، يحمل عناصر تناقضه، واضطرابه، وتهافته؛ لأنه يغض الطرف – قصدًا – عن روايات وأحاديث بلغت أعلى درجات الصحة سندًا ومتنًا؛ فالبخاري[2] روى أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج للمصلى وصفَّ بالصحابة وكبَّر أربعًا، وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ حين مات النجاشي خرج إلى أصحابه وقال: "مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمَة". والسؤال المطروح إذا كانت رواية البخاري لا يحتج بها في إثبات الحقائق التاريخية فأي رواية يُحْتجُ بها وتعتمد؟!!!!.

ومن الضروري أن نعلم بأن الشواهد التاريخية تحفظ لنا أن إسلام النجاشي كان حقيقة؛ وأنه لم يكن بأي حال من الأحوال مبالغة من الرواة، يمكن حملُها على ما أبداه النجاشي من معاملة حسنة لمهاجري الحبشة كما بيّن الدكتور "حسن". فردُّ النجاشي على رسالة النبي ﷺ والتي دعاه فيها للإسلام يدحض هذا ويكذِّبه؛ فقد كتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ قائلًا: "بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأَصْحِم بن أَبْجَر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ص١٤٤، الحاشية رقم (٤)، (٥).

(٢) صحيح البخاري، ج٢/ص٧٢، باب: "الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه"، ح/١٢٤٥، ج٥/ص٥١، باب: "موت النجاشي"، ح/٣٨٧٧.

بعثت به إلينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك يا نبي الله بأرِيحا بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق"(١)، وفي رواية للطبري(٢) أن ابن إسحاق ذكر أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة، فإذ كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم، فهلكوا.

كما يبدو للمتأمل في الروايات المتعلقة بأحوال النجاشي مع قومه؛ أنها لا تعطي الثقة، والاطمئنان لما أراد الدكتور "حسن" إقناع القُراء به –وإن كان صحيحًا – من أن جمهرة المؤرخين وثقاتهم يكادون يجمعون على أن الإسلام لم يظهر بالحبشة إلا بعد دولة من الزمن، إلا أن هذا النوع من الاستشهاد يقوم على إقصاء جانب مهم من الرواية التاريخية ذات الشأن، والصلة؛ والتي من خلالها تُبنى جوانب القضية وأركانها، ومكوناتها. فعدم ذيوع الإسلام بالحبشة، وظهوره لا ينهض دليلًا على عدم إسلام النجاشي، فالإسلام لم ينتشر بالحبشة على الرغم من إسلام ملكها "النجاشي"؛ لجملة أسباب منها: أن حكم النجاشي كان يتعرض لثورات داخلية حتى إن المسلمين المهاجرين كانوا إلى جانبه ضد عدوه(٣)، كما أن سلطة رجال

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢/ص٦٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤/ص٢٠٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٢/ص٦٥٣.

(٣) محمد بن إسحاق بن يسار، ت١٥١هـ/٧٦٨م، سيرة ابن إسحاق، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١/١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢١٦؛ البلاذري: أحمد بن ==

الدين النصارى في بلاط الأحباش، وفي أرض الحبشة عامة كانت كبيرة ومؤثرة؛ فكانوا دولة إلى جانب الدولة، ومن الطبعي أن يحسب النجاشي حساب هؤلاء إذا ما دعا إلى الإسلام وعمل على نشره بينهم(١)، يؤكد هذا ما ذكره ابن كثير(٢) من أن الحبشة اجتمعت بعد إسلام النجاشي، وقالوا له: إنك فارقت ديننا، ثم خرجوا عليه. من ذلك يتبين لنا أن تأثر الدكتور "حسن إبراهيم" بالمنهج الاستشراقي أوقعه في خطأ منهجي جعله يتمثل في الاستنتاجات، والتفسيرات للأحداث بعيدًا كل البعد عن توخي الدقة العلمية الممثلة في الاعتماد على الدليل الصحيح الذي لا لبس فيه، جاعلًا من تلك التفسيرات التعسفية أصلًا من الأصول في التعرف على الحقيقة، وهذا من وجهة نظري خطأ مصدره الغفلة عن تدبر طبيعة النص الاستشراقي، وحقيقته وهدفه.

*** إن تفكير العقل الغربي، ورواسبه الدينية، جنبًا إلى جنب مع نزوعه ومسلماته المادية، والعلمانية؛ دفع جل المستشرقين ومن نحى نحوهم، وانتهج نهجهم من المؤرخين المحدثين إلى التمسك بتلابيب التفسيرات الخاطئة، وتجاوز الدليل، والمرويات الصحيحة وإسقاطها، بصورة لم يستطيعوا معها فِكاكًا؛ يبرُز هذا بصورة، أو بأخرى في حديث المستشرقين

==

يحيى بن جابر، ت٢٧٩هـ/٨٩٢م، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١/ص١٨٨، ٢٠٢، ٥٢٣، ٥٢٤.

(١) محمود شيت خطاب: إسلام النجاشي، منشورات المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٤.

(٢) البداية والنهاية، ج٤/ص١٩١.

عن الفتوحات الإسلامية التي تمت بسرعة تدعو للدهشة والإعجاب، والأعجب من سرعتها؛ ثباتها، واستمرارها، وما تمخض عنها من نتائج بقيت آثارها إلى اليوم، مما استرعى انتباه هؤلاء؛ فذهبوا في تحليل أسبابها مذاهب شتى متناقضة(١)، من ذلك فرضية أن الفتوحات لم تكن نشرًا لدعوة دينية معينة؛ إنما هي احتلال بقوة السيف، فحياة العرب تتفق تمام الاتفاق مع النزعة الحربية لهم، فحياتهم تتضمن الضِغْن والشحناء، وحُب الانتقام، والتخريب والأخذ بالثأر(٢)، في حين بين آخر أنه لم يكن هناك خَيارة أمام حكومة المدينة – يقصد الخليفة أبا بكر ﷺ – بعد إخماد الردة سوى توجيه الطاقات العسكرية المتأججة للبدو ضد الإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الساسانية، فقد كان الطريقة الوحيدة لتجنب الانفجار الداخلي؛ هي توجيه المسلمين ضد العالم غير المسلم(٣)!!، أضف إلى هذا نظرة توماس أرنولد(٤) والذي أكد فيها أن أمل المسلمين الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة كان في جهادهم في سبيل الدين الجديد، وأن أملهم في استبدال صحاريهم الصخرية الجرداء التي لم تتح لهم إلا حياة تقوم على البؤس، كان بتلك الأقطار ذات الترف والنعيم وهي: فارس والشام ومصر.

وفي إسَار هذا المنهج الاستشراقي والذي يشكل فوضى فكرية، وتصوّرًا

---

(١) جميل عبد الله محمد المصري: دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، د ت، ص١١.

(٢) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ص١٥، ١٨.

(٣) هيو كينيدي: الفتوح العربية الكبرى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١/٢٠٠٨م، ص٨٦، ٨٧.

(٤) الدعوة إلى الإسلام، ص٦٤.

مضطربًا متهافتًا دون أدنى مبالغة؛ وقع الدكتور "حسن إبراهيم" في أسر قيود هذا النهج الاستشراقي؛ إذ ذكر أن أبابكر ﷺ وجَّه همَّه بعد أن أخمد الفتن، والثورات الداخلية للحروب الخارجية؛ ليشغل العرب بالحروب الخارجية؛ معللًا ذلك بقوله: لأنها تفي بما أمر الله به من نشر الإسلام من جهة، ولأنها كانت من جهة أخرى استغلالًا صالحًا لما جبل عليه العربي من حب القتال!!، ويمضي الدكتور حسن قائلًا في هذا السياق: وإن توجيه أبي بكر الجيوش لغزو دولتي الفرس، والروم في وقت واحد، لما لهاتين الدولتين من المُلك وبسطة نفوذ ووفرة الثروة!!، مضيفًا إلى أن قوة طمع العرب – على حد قوله – في غزو الفرس كان لحالة التفكك والفساد السياسي، مؤكدًا أن من ساعدهم على ذلك ما كان الرسول ﷺ يعدُهم به من امتلاك كنوز الأكاسرة [1]!!.

ولعل أول تساؤل حول هذه الأفكار الرائجة في أوساط المستشرقين والمؤرخين المحدثين، هل بخلت علينا مصادرنا التاريخية بالنصوص، والروايات الموثقة المتعلقة بهذه القضية؟، الإجابة بالقطع لا. إلا أن التفسير الخاطئ والتعامي عن الدليل سير وراء المكونات الثقافية والبيئية للمستشرقين، ومن تأثر بهم، دفعتهم لمقولات التفسير المادي للتاريخ، والبحث عن دوافع عسكرية، واقتصادية للفتوحات الإسلامية، بعيدًا عن السبب الحقيقي وهو نشر الإسلام والتمكين له، وتنظيم المناطق المفتوحة، والاجتهاد في حل المشاكل، والأقضية المستجدة وفق تعاليم الإسلام، فالأمر لم يكن بأي حال دافعًا دنيويًا، ولا رغبة في التسلط، والاستحواذ، ولا طمعًا

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١/ص١٨٦، ١٨٨.

في خيرات البلاد المفتوحة، ولا فرارًا من شظف الحياة الصحراوية[١] كما يقولون.

والعجيب في الأمر أن الدكتور "حسن إبراهيم" جمع بين الشيء ونقضيه فحينما ذكر أن الصديق ﷺ أشغل العرب بحروب خارجية (يقصد الفتوحات)؛ لأنها تفي بما أمر الله به من نشر الإسلام، تراه مع ذلك ينساق وراء إغراء التأثر ، أو التقليد المنهجي للمستشرقين فيقول: ولأنها كانت من جهة أخرى استغلالًا صالحًا لما جبل عليه العربي من حب القتال!!، إلا أن هذا يتعرض للتهافت بمجرد إلقاء نظرة متأنية على النصوص التاريخية، والأحداث والوقائع المرتبطة بالفتوحات؛ فالجدير بالذكر أن أبا بكر الصديق ﷺ أصدر العديد من الإجراءات التي تبرهن على تهاوي دعوى الدكتور "حسن" من إشغال العرب بالفتوحات، فكتب ﷺ إلى خالد بن الوليد، وعِياض بن غَنْم يقول:" أن استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ولا يَغزُون معكم أحد ارتدَّ حتى أرى رأيي فلم يشهد الأيام مرتد"[٢]، وفي رواية أخرى للطبري في تاريخه[٣] أن أبا بكر ﷺ كتب إلى خالد بن سعيد بن العاص قائلًا: " وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه، وألا يقبل إلا ممن لم يرتد"، وأنه كتب إلى عمال الردة: "أما بعد، فإن أحب من أدخلتم في أموركم إلي من لم يرتد ومن كان ممن لم يرتد، فأجمعوا

(١) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى "محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد الروايات التاريخية"، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٣٤٧.

(٣) ج٣/ص٣٤١، ٣٨٨.

على ذلك، فاتخذوا منها صنائع، وأذنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمرتد في جهاد عدو"، وانطلاقًا من هذه الروايات التاريخية؛ نطرح تساؤلًا ألم يكن المرتدون عربًا أقحاحًا؟!!، فلماذا لم يشغلهم خليفة رسول الله ﷺ بالحرب والقتال بعد عودتهم للإسلام، كسائر إخوانهم من المسلمين. ويمضي الدكتور "حسن إبراهيم" متلبسًا بالمسلّمات الاستشراقية؛ حين بيّن أن أبا بكر رضي الله عنه وجّه القواد، والجيوش لغزو دولتي الفرس، والروم في وقت واحد، لما لهاتين الدولتين من المُلك وبسطة نفوذ ووفرة الثروة!!، فالوقت الذي أضاف فيه؛ أن قوة طمع العرب في غزو تلك المناطق كان لحالة التفكك والفساد السياسي في الدولتين، مؤكدًا أن من ساعدهم على ذلك ما كان يَعدهم به الرسول ﷺ من امتلاك كنوز الأكاسرة!!. وإذا كان أكثر المستشرقين لم يصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن الفتوحات الإسلامية، فإننا نجد في الوقت ذاته من انساق في اتجاههم من المؤرخين المحدثين؛ يرددون الفكرة ذاتها من غير بينة، فتتحول أقلامهم، وألسنتهم – للأسف – معاول هدم؛ فالدكتور "حسن إبراهيم" إذا كان قد شكل التفكك السياسي، وحالة الضعف التي انتابت الفرس، والروم، فضلًا عن وعد النبي ﷺ لهم بامتلاك كنوز كسرى، قوة طمع في غزو العرب –على حد تعبيره– للدولتين الأكبر في هذا التوقيت، ولا أدل على هذا الانسياق والتأثر بالفكر الاستشراقي ومنهجه، مما ذكره جملة من المستشرقين[1] من أن ضعف دولتي الفرس والروم، وتفككهم

(١) لويس سيديو: خلاصة تاريخ العرب، ترجمة: محمد أحمد عبد الرازق، نشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨م، ص٧٩، ٨٢، ٨٩؛ هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: د. إحسان عباس، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١م، ص١٥؛ أنتوني نتنج: العرب انتصاراتهم ==

السياسي، وطموح الفاتحين إلى خيرات وثروات تلك النواحي والتي تتلاءم مع مزاجهم التجاري، شكل دافعًا للفتوحات.

وهكذا ودون أدنى مبالغة مني أجد أن أتباع التفسير المادي للحوادث التاريخية والمتأثرين بالمنهج الاستشراقي؛ يعضون بالنواجذ على أية إشارة من هذا النوع سالكين درب أسلافهم من المستشرقين الذين تحدّثوا عن ضعف الدولتين الفارسية والرومانية، بل وبالغوا في الإلحاح عليه، وجعلوه من أهم الأسباب التي أدَّت للفتوحات الإسلامية وانتصارات المسلمين، في محاولة منهم لتجريد المسلمين من كل فضل في الانتصار؛ حيث طمع المسلمون في الدولتين بسبب ضعفهما، والحق أن المسلمين في فتوحاتهم لم يحسبوا حسابًا للعدد والعُدة، فالإصرار على ضعف الدولتين تجاهل متعمد لأسباب الفتح وعوامل النصر ، فالمسلمون تمسكوا بعقيدتهم والتزموا بدينهم(١)، ويكفي أن نشير إلى خطاب أبي بكر ﷺ للقوات الفاتحة بأرض الشام للدلالة على أن قوة العقيدة، وصلابة الإيمان كان سببًا رئيسًا في نجاح وسرعة وتماسك الفتوحات، ومما ورد في الخطاب: "ولن يؤتى مثلكم من قلة، الله ناصر من نصره، وليُصلِّ كل رجل منكم بأصحابه"(٢)، وجاء في خطابه لجبهة العراق قوله:" واستعينوا بالله واتقوه، وآثروا أمر الآخرة على

==

وأمجاد الإسلام، ترجمة: د. راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٤م، ص٥١؛ جميل عبد الله محمد المصري: دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، ص٧٣.

(١) جميل عبد الله محمد المصري: دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، ص٧٣.

(٢) ابن الحوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٤/ص١١٧.

الدنيا يجتمعا لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما، واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة"(١)، بل ويعترف مؤرخ غربي بأن الحماسة الدينية لدى حملة الإسلام كانت سببًا في نجاح سير الفتوحات إذ يقول:" ... فإن سبب هذا النجاح الساحق، والتوفيق الباهر يكمُن في الإسلام الذي بدل العرب البدو (المتوحشين) – على حد وصفه – الذين لم يكن يجمعهم نظام إلى جيش وفيّ منظم"(٢). يضاف إلى ذلك حُسن التخطيط، وإدارة المعارك بقدرة فائقة؛ فالفاتحون تجنبوا قتال الفرس داخل المناطق الخاضعة لنفوذهم، وحرصوا على مقاتلتهم في المناطق الحدودية المتاخمة لهم، يشير إلى هذا إحدى المكاتبات الصادرة من عمر بن الخطاب ﷺ – بالمدينة في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة للهجرة – إلى قادة الجيوش جاء فيها: "أما بعد، فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم، وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم"(٣)، وتشير رواية الطبري(٤) لمدى استجابة القوات للتوجيهات العمرية؛ "فكانوا ...، من أولها إلى آخرها مسالح بعضهم ينظر إلى بعض، ويغيث بعضهم بعضًا".

أما عن إيماءات الدكتور "حسن إبراهيم" للتأكيد على المكاسب المادية، والغنائم بوصفها أحد العوامل الرئيسة وراء الفتوحات والتي تأثر فيها بالمنهج

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٣٢٧.

(٢) محمد ياسين مظهر صديقي: الهجمات المُغرضة على التاريخ الإسلامي، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، دار الصحوة للنشر، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١١٢، ١١٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٤٧٨.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٤٧٨.

الاستشراقي كما نوّهت لذلك سلفًا، فإنني اعتقد جازمًا أن المستشرقين، والمؤرخين المحدثين المتأثرين بهم كانت لديهم القدرة على إمعان النظر في الروايات التاريخية ذات الصلة بالفتوحات الإسلامية؛ لاستخراج الحقيقة، ولكنهم كعاداتهم يتجاوزون الدليل الصحيح، ويتعامون عنه، ويبحثون بأي سبيل على ما يقرر وجهة نظرهم من تفسيرات مادية خاطئة، مستندة تارة على الروايات الضعيفة، وتارة أخرى على ليٍّ عنق غيرها من الصحيح، وكل هذا يقف وراءه التراث المادي المتراكم للعصور الوسطى الأوروبية، وأفكارها السائدة قديمًا وحديثًا.

وهكذا أخطأ المستشرقون ومن لف لفهم وسار على دربهم من المؤرخين المحدثين حين تعمَّدوا كتمان الحقيقة التاريخية، وسعوا لتشويهها بتفسيرات تصطدم بالوقائع والأحداث التاريخية الصحيحة، والتي تُجزم أن الفاتحين المسلمين كان حب الجهاد والقتال في سبيل الله؛ لإعلاء راية الدين عندهم أقوى من إذكاء الحماس في الأمل بالحصول على الغنائم(١)، يؤيد هذا ما رواه ابن عساكر في تاريخه(٢) من أن هامان قائد الروم، قال لخالد بن الوليد ﷺ يوم اليرموك (١٥هـ/٦٣٥م): "قد علمت أن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم وإني قد رأيت أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة تحمل حملها من الطعام، والكسوة، والأدم فيرجعون بها إلى بلادكم وتعيشون بها أهاليكم سنتكم هذه، فإذا كان قابل بعثتم إلينا

(١) صالح أحمد العلي: الفتوحات الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٤م، ص٥٣.

(٢) تاريخ دمشق، ج٢/ص١٤٧.

فبعثنا إليكم بمثله فإنا قد جئناكم من الجيوش والعدد بما لا قبل لكم به"، فكان ردُّ خالد قائلًا: "ما أخرجنا من بلادنا الجوع، ولا ضيق الأمر"، بل إن المرويات التاريخية المتعلقة بفتح مصر تُعضّد هذا الاتجاه؛ فالمقوقس خاطب الصحابي الجليل عُبادة بن الصامت ﷺ بقوله: "ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين، ولأميركم مائة دينار، ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها، وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به"، إلا أننا نلحظ ردَّ عُبادة عليه: " وأما قولك أنا في ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا؛ فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فبينه لنا"[(١)].

يضاف إلى هذا أن سيرة الخلفاء الراشدين تفصح لنا عن أنهم لم يفتحوا البلاد من أجل ثروة، أو مال، أو تحسين لأحوالهم، وأوضاعهم المعيشية؛ فالصديق ﷺ استنفق من مال المسلمين ما يصلحه، ويصلح عياله يومًا بيوم ويحج ويعتمر، وكان مما فرض له كل سنة ستة آلاف درهم، ولما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئًا[(٢)]، أما عمر الفاروق ﷺ والذي شهد عهده اتساع رقعة الدولة شرقًا

(١) ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت٢٥٧هـ/٨٧٠م، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٧٧، ٧٨.

(٢) ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد، ت٢٣٠هـ/٨٤٤م، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٣/ص١٣٩.

وغربًا، كان يعيش معيشة الكفاف؛ فراوية ابن سعد[١] تؤكد هذا فيروي " أن حفصة بنت عمر – رضي الله عنها – قالت لأبيها "إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض، وأكثر من الخير فلو طعمت طعامًا ألين من طعامك، ولبست لباسًا من لباسك، فقال عمر لها: سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش؟، فما زال يذكرها حتى أبكاها. ثم قال: إني قد قلت لك إني والله لئن استطعت لأشاركنها في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشهما الرخي. "يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه". بل إن ما يلفت الانتباه ويُذكر بالفخر – على مر الأيام والسنين – لحملة الإسلام الفاتحين الأُول أنهم لم ينصرفوا إلى شؤون الكسب والمعاش انصرافًا تامًا؛ فقد جاهدوا في سبيل الله، ونصحوا بأنفسهم وأموالهم – كما أشرنا آنفًا – وهم في هذا حالة فريدة في التاريخ العالمي[٢]، يبرهن على هذا الإجراءات التي تبناها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عدم توزيع الأراضي ومرافقها بين الفاتحين[٣]، الأمر الذي يتأكد معه نفي الدوافع المادية في الفتوحات الإسلامية.

*** لا يكاد يخلو مُؤلَّف من مؤلفات المستشرقين في حقل الدراسات التاريخية من إشارة، أو أكثر إلى مسألة التمييز العنصري بين العرب

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٣/ص٢٠١.

(٢) جميل عبد الله محمد المصري: دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، ص٧٨.

(٣) ابن سلام: أبو عُبيد القاسم، ت٢٢٤هـ/٨٣٨م، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، د ت، ص٧١، ٧٤.

وغيرهم، والتي تتبيّن عند إمعان، أو تأمل النظر فيما دوّن اتجاه هذه القضية، وهذا يرجع في المقام الأول إلى أن فئة من المستشرقين، ومن أيد وجهتهم وتبنى وتأثر بمنهجهم؛ سعوا لتعميم الحالات الفردية، كحالة عامة في الدولة الإسلامية، من خلال الاعتماد على روايات ضعيفة لا يقاس عليها، أو قلب الحقيقة رأسًا على عقب. ففي مفتتح كلام الدكتور "حسن إبراهيم"(١) عن البربر كأحد العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، راح يؤكد أنه على الرغم من أن البربر أبلوا بلاء حسنًا في فتح الأندلس، وتحملهم لأكثر أعباء الفتح، ترى العرب يحرمونهم ثمار فتوحهم وينزلونهم الأقاليم الجبلية الوعرة المجدبة في الشمال؛ حيث استهدفوا لخطر حملات المسيحيين الذين أقاموا في الأماكن الحصينة، مؤكدًا على أن العرب على حد قوله: في هذا الحين نعموا بالوديان الخصبة البعيدة عن خطر عصابات المسيحيين؛ لهذا ثارت ثائرة البربر واستعرت حفائظهم على العرب. متبنيًا بذلك وجهة نظر المستشرق "ستانلي لين بول"، ومتأثرًا بنهجه في التعامي عن الدليل الصحيح، والتعسف في تفسير النتائج؛ فقد أوضح ستانلي لين بول(٢) "أن البربر تغلل في نفوسهم حسد قديم للعرب؛ لأنهم نالوا نصيب الأسد من غنائم إسبانيا التي لم تدن قطوفها إلا بقسي البربر ورماحهم، ورأوا العرب الذين لم يدخلوا البلاد إلا وقت اجتناء ثمرات الفتح اختصوا أنفسهم بكل الولايات الخصبة الباسمة من شبه الجزيرة، وتركوا لهم أبغض الأجزاء إلى النفس، ...ثم إنهم رأوا أنفسهم في وضع يجعلهم دائمًا حامية دفاع بين

(١) تاريخ الإسلام، ج٣/ص٤١٠.

(٢) قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٤٤.

حلفائهم العرب ونصارى الشمال".

والمتأمل في المرويات التاريخية، والأحداث والوقائع خلال تلك المدة لا يجد صعوبة في رصد، وإدراك المغالاة التي وقع فيها المستشرقون، ومن تبعهم من المؤرخين المحدثين، فالمصادر التاريخية تشير إلى أن البربر والطليعة الأولى من الفاتحين العرب، والذين عرفوا بعد بالبلديين كانوا حزبًا واحدًا لا فرق فيه بين عربي أو بربري(١)، فابن القوطية(٢) يذكر أن البلديين، والبربر كوَّنوا جبهة واحدة ضد أعدائهم، حتى إنه ذكر قائلًا: "وبقي البلديون والبربر على غنائمهم لم ينتقصهم شيء". والسؤال الذي يمكننا طرحه؛ هل الفاتحون الأُول (العرب) اختصوا أنفسهم بأفضل وأخصب المناطق، وأكرهوا البربر على النزول بالأقاليم الجبلية الوعرة المجدبة في الشمال؛ حيث خطر الممالك النصرانية، مما دفعهم للثورة عليهم؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل أقول: من غير الصحيح على الإطلاق أن العرب (الطليعة الأولى) استأثروا بخير النواحي بالأندلس؛ لأن المهاجرة من العرب والبربر عقب الفتح مباشرة نزلوا حيث استقر بهم المُقام دون تمييز لهذا على ذلك، وهذا ما يفهم من رواية المقري(٣) والتي جاء فيها "وتسامع

---

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس "دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، نشر العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المنهل للطباعة والنشر، بيروت، ط١/١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٤٢٧.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢/١٤١٠هـ/١٩٩٨م، ص٤٤.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ==

الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال"، ولدلالة على أن الأمر كان حسب الميول والرغبات ليس أكثر، لا كما يحاول بعض المستشرقين، ومن تبعهم من المؤرخين المحدثين بثّه، وإذاعته؛ ما أورده المقري[١] بقوله: "وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بوضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس، وخذل الشرك، ...وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها"، وطبقًا لما ذكره ابن عذاري[٢] "كان البربر يرغبون عن سكنى المدن والقرى، وإنما بغيتهم سكنى الجبال والصحارى، إذ كانوا أصحاب إبل وسائم". ومن أبرز الأدلة والبراهين على بطلان زعم اختصاص العرب لأنفسهم بأجود الأراضي؛ ما سبق قوله من أنهم كانوا حزبًا واحدًا على مخاليفهم، فلما تولى ثعلبة بن سلامة إمرة الأندلس؛ "جمع له أهل البلد العرب، والبربر جمعًا"[٣]، كما أن النصوص تسمح لنا أن ندرك تمامًا أن المسلمين الأُول الذين دخلوا البلاد عربًا، وبربرًا لجأ كل فريق منهم إلى ما يناسب مزاجه من النواحي: فالعرب

==

ج١/ص٢٥٩.

(١) نفح الطيب، ج١/ص٢٧٦.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣/ ١٩٨٣م، ج٢/ص٧.

(٣) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة المثنى، بغداد، د ت، ص٤٤.

كانوا يفضلون دائمًا البسائط والمنخفضات، والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق، والغرب، أما البربر فكانوا في بلادهم – إفريقية، والمغرب – يعيشون في بلاد جبلية عالية، فألفُوا مثل هذه البلاد في الأندلس فاستقروا فيها باختيارهم، ثم إن جماعات منهم أحبت الانفراد بنواح يكونون فيها مستقلين(١)، في حين تؤكد الشواهد الجغرافية على المناطق التي قطنها البربر وتحديدًا النواحي الشمالية الغربية كانت من أغنى نواحي الأندلس، وأوفرها خيرات(٢).

أما ثورة البربر ضد العرب فكانت لسياسة الولاة التعسفية ضدهم، لا لشيء آخر كما يريد المستشرقون ومن درج على نهجهم أن يصوره لنا، فابن عذراي(٣) يشير إلى أن سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) شهدت ثورة البربر بالمغرب، منوِّهًا أن "عبيد الله بن الحُباب" الوالي الأموي بالمغرب اتبع سياسة التعسف مع البربر، وساء السيرة معهم، فثاروا بأجمعهم عليه، وقتلوا عامله، وفي رواية لابن عبد الحكم(٤) يفهم منها؛ أن الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك إبان ولايته تفهم غضب البربر ؛ حتى إنه لما علم مقتل واليه على المغرب؛ بسبب سوء سيرته، أقر البربر على اختيارهم لواليهم الجديد.

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٤٢٩.

(٢) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط٢/١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص١٣٨.

(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١/ص٥٢.

(٤) فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص٢٤٣.

الخاتمة

الحمد لله على تمام النعمة، واكتمال المنة، خلُص البحث إلى عدّة نتائج من أبرزها:-

١- يُعدُّ تأثر الإسلام، وحضارته بالأديان، والتشريعات السابقة عليه موضوعًا مألوفًا في مؤلفات المستشرقين ومن تأثر بمنهجهم الاستشراقي من المؤرخين المُحدثين.

٢- المنهج الاستشراقي شكَّل لدى بعض المؤرخين المُحدثين؛ ميلًا لدراسة التاريخ الإسلامي وحضارته باعتباره نتاجا لتاريخ وحضارات الأمم الأخرى، سعيًا لتجريد الحضارة الإسلامية من أية ابتكار، أو إبداع، أو تقدم.

٣- إن إشارة الدكتور "حسن إبراهيم" واعتماده في أغلب الأحيان على المصادر الاستشراقية، وغض الطرف عن مصادرنا التاريخية، دليل على تأثره بالمنهج والفكر الاستشراقي، ومن ثم الاعتماد على المفاهيم، والمقاييس الثقافية الخاصة بالبيئة الاستشراقية.

٤- تأثرت معالجة الدكتور "حسن إبراهيم" للقضايا التاريخية بالمنهج الاستشراقي بتطبيق طرائق تتسم بالعلمانية؛ فالنبي ﷺ من وجهة نظره مصلح اجتماعي ومشرِّع بين أقدم الأمم، على اعتبار أن التاريخ الإسلامي وحضارته غير وثيق الارتباط بالدين.

٥- شيوع الافتراضيات التقليدية لدى متأثري المنهج الاستشراقي من كُتاب ومؤرخين مُحدثين؛ من أن الإسلام تشكَّل من ألوان مختلفة، وتأثيرات أجنبية متنوعة؛ رومانية، وفارسية، ويهودية، ونصرانية،

وأن الحضارة الإسلامية في مراحل نموها، وأوج تطورها هي شكل من أشكال الحضارات السابقة عليها.

٦- المستشرقون ومن تأثر بهم يرجعون أسباب، وآثار الفتوحات الإسلامية إلى جوانب مادية، واجتماعية في إهمال صارخ للجانب الديني، وهو عالمية هذا الدين، وضرورة تبليغه للناس كافة دون إكراه حد على الدخول فيه.

٧- إن ما ينبغي فعله على المؤرخين المُحدثين ليصلوا إلى النتيجة المطلوبة الصحيحة حول القضايا التاريخية؛ هو أن يُدرس تاريخ الإسلام وحضارته من خلال مصادره الأصلية؛ حتى يكونوا في وضعية أفضل عند تقويم الأحداث، وخلفياتها التي انبثقت منها.

٨- التأثُر بالمنهج الاستشراقي خلق نوعًا من التناقض مع القضايا التاريخية استحال معه تفهم ملابسات الأحداث والوقائع التاريخية، وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا.

٩- المنهج الاستشراقي في دراسة التاريخ على طرفي نقيض مع المصادر والمرويّات التاريخية الصحيحة، فهو دائم التشكيك بها وردّها.

١٠- أهمية الرد، والتقويم للدراسات التاريخية التي كتبها، ويكتبها المؤرخون المُحدثون الذين داروا في فلك الاستشراق، ومناهجه.

١١- إن الموضوعية المنشودة لدى اتباع المنهج الاستشراقي من الصعب تحقيقها؛ لأنها صادرة من جهة لا تُقر بحقائق الإسلام.

١٢- أنتج المنهج الاستشراقي صورة في غاية التشويه، والإساءة للحضارة الإسلامية، وتاريخها عبر عصورها المختلفة.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا:- المصادر

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

أحمد بن حنبل: أبو عبد الله بن هلال الشيباني، ت٢٤١هـ/٨٥٥م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، نشر مؤسسة رسالة، بيروت، ط١/١٤٢١هـ/٢٠٠١م

ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار، ت١٥١هـ/٧٦٨م.

- سيرة ابن إسحاق، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١/١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،

أوس بن حجر

- ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م،

البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، ت٢٥٦هـ/٨٦٩م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١/١٤٢١م.

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م.

- الفَرْق بين الفِرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

أبو بكر بن الخلَّال: أحمد بن محمد بن هارون، ت٣١١هـ/٩٢٣م.

- السنة، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١/١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت٢٧٩هـ/٨٩٢م.

- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م،

- فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت٢٥٥هـ/٨٦٨م.

- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١/١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس، ت٣٣١هـ/٩٤٢م .

- كتاب الوزراء والكُتاب، دار الفكر الحديث، بيروت،

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م.

- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن حوقل: أبو القاسم محمد البغدادي، ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م.

- صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م.

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد، ت٦٨١هـ/١٢٨٢م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

ابن خياط: خليفة بن خياط: أبو عمرو بن خليفة الشيباني العصفري، ت٢٤٠هـ/٨٥٤م.

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق , بيروت، ط٢/١٣٩٧هـ، ١٩٧٦م.

أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق، ت٢٧٥هـ/٨٨٨م.

- سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/٢٠٠٣م.

- ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط٢/١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد، ت٢٣٠هـ/٨٤٤م.

- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ابن سلام: أبو عُبيد القاسم، ت٢٢٤هـ/٨٣٨م.

- كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، د ت.

الصابي: هلال بن المحسن بن إبراهيم، ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م.

- رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢/١٩٨٦م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت٣١٠هـ/٩٢٢م.

- تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢/١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت٢٥٧هـ/٨٧٠م.

- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن عذراي: أبو عبد الله محمد بن محمد، ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣/ ١٩٨٣م.

ابن العربي: أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله المعافري، ت٥٤٣هـ/١١٤٨م.

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب، محمود مهدي، دار الجيل، بيروت، ط٢/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت٥٧١هـ/١١٧٥م.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو

اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، المعرف بـ "تاريخ دمشق"، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

العسكري: أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل، ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م.

- الأوائل، تحقيق: د. محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان، ت٢٧٧هـ/٨٩٠م.

- المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م.

- الإمامة والسياسة "المنسوب إليه"، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي، ط٢/١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، ت٣٦٧هـ/٩٧٧م.

- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢/١٤١٠هـ/١٩٩٨م.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م.

- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١/١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف، ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٥م.

- كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٣هـ/٨٨٦م.

- سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قُم، ١٤٠٩هـ.

المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد، ت١٠٤١هـ/١٦٣١م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، ت٧١١هـ/١٣١١م.

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ.

مؤلف مجهول:

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة المثنى، بغداد، د ت.

ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت٢١٣هـ/٨٢٨م.

- السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١١هـ.

ثانيًا:- المراجع

إبراهيم بيضون:

- الدولة الأموية والمعارضة (مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن مع ترجمة له)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

أكرم ضياء العمري:

- عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى "محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد الروايات التاريخية"، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

جميل عبد الله محمد المصري:

- دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، د ت.

جواد علي:

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤/١٤٢٢هـ/٢٠٠٤م.

حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الناشر: الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص, المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م.

حسين عطوان:

- الأمويون والخلافة، دار الجيل، ط١/١٩٨٦م.

حسين مؤنس:

- فجر الأندلس "دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، نشر العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المنهل للطباعة والنشر، بيروت، ط١/١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

حمدي شاهين:

- الدولة الأموية المفترى عليها "دراسة الشبهات ورد المفتريات"، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م، ص١٩١؛ محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار السلام، القاهرة، ط٢/١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

رياض بن حمد بن عبد الله العمري:

- مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي ﷺ "عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية"، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١/١٤٣٦هـ،٢٠١٥م.

الزركلي: خير الدين بن محمود، ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، ط١٥/٢٠٠٢م.

ساسي سالم الحاج:

- نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١/٢٠٠٢م.

صالح أحمد العلي:

- الفتوحات الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٤م.

صوفي حسن أبوطالب:

- بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، دراسة وتقديم د. محمد عماره، مجلة الأزهر، ذي القعدة ١٤٣٤هـ/سبتمبر، أكتوبر ٢٠١٣م.

عبد الحميد علي ناصر فقيهي:

- خلافة علي بن أبي طالب (دراسة نقدية للروايات)، رسالة التخصص الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين قسم (السيرة

والتـــاريخ)، الجامعـــة الإســـلامية، المملكـــة العربيـــة الســـعودية، ١٤١٢هـ.

عبد الرحمن حسن جنكة الميداني:

- أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط٤/١٤٠٣هـ.

عبد الرحمن علي الحجي:

- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط٢/١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

عبد الرؤوف عون:

- الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.

عبد الشافي محمد عبد اللطيف:

- العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) دراســـة سياســـية، دار الســـلام للطباعـــة والنشـــر، القـــاهرة، ط١/١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

عبد العظيم محمود الديب:

- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة (كتاب الأمة)، ربيع أول ١٤١١هـ/نوفمبر ١٩٩٠م، قطر، ط١.

عبد الله محمد الأمين النعيم:

- الاستشـراق فـي السـيرة النبويـة (دراسـة تاريخيـة لآراء "وات-بروكلمان- فلهاوزن" مقارنة بالرؤية الإسلامية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمَّان، الأردن، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

غيداء خزنة كاتبي:

- الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري "الممارسات والنظرية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١/١٩٩٤م.

فاروق عمر فوزي:

- الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية للنشر والتوزيع، عَمّان، ط١/١٩٨٨م.
- الخلافة الأموية (دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عَمّان، الأردن، ط١/٢٠٠٩م.

محمد البهي:

- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٤م.

محمد كامل:

- تاريخ اليونان، دار الفكر، دمشق، ط٣/١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

محمد محمد حُسين:

- حُصوننا مُهددة من داخلها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤/١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

محمد ياسين مظهر صديقي:

- الهجمات المُغرضة على التاريخ الإسلامي، ترجمة: سمير عبد

الحميد إبراهيم، دار الصحوة للنشر، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمود شيت خطاب:

- إسلام النجاشي، منشورات المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

نجيب العقيقي:

- المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤/١٩٦٥م.

نور الدين حاطُوم:

- تاريخ القرن السابع عشر في أوربا، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ثالثًا:- المراجع الأجنبية المعربة:

أرثر كريستنسن:

- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د ت.

أنتوني نتنج:

- العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ترجمة: د. راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٤م.

إيجناس جولد تسيهر:

- العقيدة والشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي)، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤م.

برنابي روجرسون:

- ورثة محمد ﷺ (جذور الخلاف السني الشيعي)، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٥م.

توماس أرنولد:

- الدعوة إلى الإسلام، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

جوستاف إ. فون جرونيباوم:

- حضارة الإسلام، نقله للعربية: أ. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤م.

ر. ڤ . بُودلي

– الرسول حياة محمد، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جُودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، د ت.

ستانلي لين بول:

- قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

فان فلوتن:

- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة وتعليق: د. حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، مطبعة

السعادة، القاهرة، ط١/١٩٣٤م.

فليب حتى:

- تاريخ العرب (مُطوَّل)، دار الكشاف للنشر والطباعة، ١٩٥٠م.

لويس سيديو:

- خلاصة تاريخ العرب، ترجمة: محمد أحمد عبد الرازق، نشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨م.

الأب متوديوس زهيراتي:

- الإسكندر الكبير فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في المشرق، دار طلاس، دمشق، ط١/١٩٩٩م.

هاملتون جب:

- دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: د. إحسان عباس، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١م.

هيو كينيدي:

- الفتوح العربية الكبرى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١/٢٠٠٨م.

يوليوس فلهوزن:

- تاريخ الدولة العربية منذ ظهر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: د. محمد عبد الهادي أبو رِيدة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢/١٩٨٦م.

رابعًا:- المراجع الأجنبية

A literary history of the Arabs, New York, C. Scribner's son,1907 .

Biographie universelle, ou, dictionnaire historique des hommes qui se sont fait un nom par leur génie, leurs talents, leurs vertus, leurs erreurs ou leurs crimes, Tome DEUXIÈME. Bruxelles, 1843.

E. H. Palmer, Harun Al Rashid: Caliph Of Baghdad, London Marcus Ward 67 and 68, Chandos Street, and Royal Ulster Works, BELFAST, 1881.

Kirkman G. Finlay, Greece Under the Romans, George Finlay, J. M. Dent & Company, London, 1907

Montrose, and Other Biographical Sketches, The North American Review , Apr., 1862, Vol. 94, No. 195 (Apr., 1862, Published by: University of Northern Iowa.

Nicholson, A literary history of the Arabs, New York, C. Scribner's son,1907 .

Thomas Arnold, The Caliphate, Oxford, At The Clarendon, Press, 1924 .